قلنا إن الكنيسة ينبغى أن تشارك الرب في مسحته الكاملة الأبدية الفائضة، فالكنيسة مسئولة أن تعلن مُلك الرب على النفوس في هذا الزمان الحاضر، وهى مسئولة أيضاً أن تدخل إلى الأقداس في كل حين لكى تشفع في الجميع، إننا نشارك الرب في مسحة المُلك والكهنوت التى مُسح بها شخصه الكريم مرة واحدة وإلى الأبد، واليوم نختتم حديثنا عن روح المسحة المبارك بالقول إننا أيضاً نشارك الرب في مسحة النبوة.

النبى الكامل

كان ربنا هو «النبى» الآتى إلى العالم، النبى الكامل الذى حمل إلينا ليس مجرد حق من اللّه مثل باقى الأنبياء بل حمل إلينا «الحق» الكامل الذى رآه في أبيه، ولم ينقله لنا بكلماته فحسب بل كان هو بنفسه «الحق» المتجسد كاملاً غير منقوص، حتى أن كل مَنْ رآه فقد رأى الآب.

حمل إلينا حقاً كاملاً عن اللّه والإنسان، حقاً كاملاً عن العالم والشيطان، حقاً كاملاً عن الحياة والخلود، حقاً كاملاً عن السماء والجحيم، كانت مسحة النبوة المنسكبة على شخصه مسحة كاملة وشاملة.

لكن من الناحية الأخرى نحن نحتاج أن تظل تعاليم الرب وحياته ماثلة للأذهان مسموعة للآذان مؤثرة في الوجدان على مر العصور والأزمان، وهنا تأتى مسئولية الكنيسة من خلال خدمة

الأنبيــاء

وضع الروح القدس في الكنيسة مواهب تأسيسية من ضمنها «الأنبياء» (أف ٤:١١)، وهم يأتوا في المرتبة الثانية بعد الرسل مباشرة، هؤلاء الأنبياء هم المسئولون في الكنيسة عن جعل فكر اللّه واضحاً للشعب على الدوام، وقيادة الشعب للسلوك بحسب هذا الفكر، وذلك من خلال كلمات هؤلاء الأنبياء وسلوكهم وسط الكنيسة، إن كنيسة بدون أنبياء هى كنيسة بلا رؤية لفكر اللّه الخاص بها، وبلا رؤية يجمح الشعب.

وما نريد أن نؤكد عليه الآن هو أن هؤلاء الأنبياء ليس لهم مسحة نبوة جديدة مستقلة عن مسحة ربنا له المجد، بل أن مسحة النبوة التى لهم ليست سوى قطرة من فيض مسحة ربنا، أى أن كل ما يمكن أن يأخذوه من معرفة لفكر اللّه ليس سوى جزء مما سبق ربنا وأعلنه في أثناء

حياته، هؤلاء الأنبياء لا يأخذون إعلاناً جديداً عن أى شيء، بل لا يوجد في كل تاريخ الكنيسة ما يمكن أن يُسمى إعلاناً جديداً، لأن رب المجد قد نقل إلينا كل الحق مرة واحدة وإلى الأبد، ولن يوجد إعلان بعد إعلانه له المجد، لكن سيظل هناك إعلانات جزئية ضمن الإعلان الكبير، إعلانات تسلِّط الضوء على كلمات الرب وتشرحها وتظهر خفاياها وتجعلها حية في أذهان الناس قابلة للتطبيق في كل عصر وتحت كل ظرف.

الحق واحد والإعلانات متعددة

عندما أتى الرب في جيله حمل لهم فكر اللّه بوسائل وكلمات وأمثلة تناسب ثقافة ذلك العصر وعاداته، ورغم أن مضمون هذا الحق سيبقى ثابتاً لا يعتريه أدنى تغيير إلا أنه يحتاج في كل عصر إلى أنبياء يحملونه إلى أبناء جيلهم بكلمات ووسائل تناسب تطور ثقافات الشعوب وأساليب حياتها.

إن كل بلد تحتاج إلى أنبياء يحملون فكر اللّه إلي بلدهم بما يتناسب مع ثقافتها الخاصة وتاريخها، بل أن كل كنيسة في داخل البلد الواحد تحتاج إلى أنبياء يحملون لها فكر اللّه الخاص بها والمتناسب مع ظروفها ومشاكلها.

لقد استخدم الرب بولس كنبى للأمم يخاطبهم بلغتهم وبثقافتهم حاملاً إليهم فكر اللّه الكامل، كما استخدم بطرس كإناء يحمل ذات الفكر إلى اليهود، إن جوهر الإعلان سيظل واحداً لكن أوانى الأنبياء ستتعدد بما يتناسب مع تعدد واختلاف الظروف والأماكن.

إن مهمة الأنبياء أساسية جداً لكى يظل الإعلان الكامل الذى أتى به ربنا حياً سارى المفعول في كل أنحاء المسكونة، لأنه في غياب هذا الإعلان الحق عانت الكنيسة كثيراً ومازالت تعانى من أنبياء و «نبيات» كذبة حملوا إعلانات بعيدة عن الحق سببت الكثير من الضلال والإنقسام !!

آه يا روح المسحة المبارك !! ليتك ترسل إلينا قطرات من مسحة النبوة التى انسكبت على رأس سيدنا في ملء الزمان، لكى ننقل إلى كنائسنا وشعوبنا فكر اللّه الحقيقى بقوة وسلطان، ولكى تعود كلمات ربنا يسوع المسيح تكتسب سلطانها على أذهان الجيل الحاضر الذى نعيش فيه (يتبع).

بعدما تكلمنا عن خمسة صور رمزية للروح هى الحمامة والنار والمياه والريح والزيت، وعرفنا أن كلاً منها تشير إلى عمل خاص للروح القدس، نبدأ اليوم حديثنا عن الصورة السادسة للروح ألا وهى:

الخمــر

كــانت الخمر من ضرورات الحيــاة في إسرائيــل حتى أن أبسط طعــام يتناوله الإسرائيلى كــان الخبز والخمر (تك ١٤:١٨ ، قض ١٩:١٩) لذلك كانت وفرة الخمر عنواناً لبركة اللّه (تك ٢٧:٢٨ ، عا ٩:١٣) كما أن قلتها كانت عنواناً لغضبه (إش ٦٢:٨) وكانت الخمر أيضاً تستخدم لعلاج بعض الأمراض (٢صم ١٦:٢ ، لو ١٠:٣٤ ، ١تى ٥:٢٣) وأهم فوائد الخمر أنها كانت تُستخدم في العبادة كسكيب مقدس على الذبائح (لا ٢٣:١٣) ولذلك كان في الهيكل مخزون للخمر (١ أخ ٩:٢٩).

وفي العهد الجديد رأينا الوحى يقرن بين عمل الروح وتأثير الخمر في الإنسان، ففى يوم الخمسين ظهرت على التلاميذ مظاهر غريبة من الفرح والابتهاج جعلت الناس يظنون أن التلاميذ سكارى (أع ٢:١٥) وفي (أف ٥:١٨) يقول الرسول «لا تسكروا بالخمر الذى فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح».

ولكى نفهم هذه المقارنة بين الخمر والروح ينبغى أن نفهم تأثير الخمر على شاربها ، إن الخمر إذا أُستخدمت بمقدار معقول تسبب شعور الإنسان بالفرح وطيب القلب ودفء المشاعر (مز ١٠٤:١٥ ، جا ٩:٧ ، ١٠:١٩) وعندئذ يشعر الإنسان أنه قوى ومنتصر على همومه ولا يذكر أحزانه بعد (أم ٣١:٧) وعلى ذلك نستطيع أن نفهم أن صورة الخمر وارتباطها بعمل الروح إنما هو إشارة للروح القدس باعتباره

روح التعزية والفرح

تكلم الرب كثيراً عن شخص الروح المبارك باعتباره «المعزِّى» (يو ١٤:١٦) والتى تعنى «المعين» و «المشجع» و «المقوى»، إن الروح القدس له عمل في قلب المؤمن يشبه عمل الخمر في قلب الإنسان، فإذا كانت الخمر تُبهج شاربها وتجعله يرتفع فوق همومه وأحزانه فإن الروح له ذات التأثير وإن كانت طريقة العمل مختلفة!!

الخمر ترفع صاحبها فوق أحزانه بواسطة «النسيان»، حيث تجعله ينسى بشكل مؤقت أحزانه مما يعطى لمشاعره انتعاشاً مؤقتاً وفرحاً وقتياً، وعندما ينتهى تأثير الخمر يعود شاربها إلى أرض الواقع ليجد أن كل شىء على ما هو عليه وأحزانه باقية كما هى، مما قد يدفعه لمزيد من الشراب ليتحول الأمر إلى سُكر وإدمان ورغبة في الغياب عن الوعى والهروب من الواقع.

أما الروح القدس فهو يرفع الإنسان فوق مشاكله وأحزانه بواسطة مواهب روحية حقيقية وعطايا وبركات واقعية وإعلانات إلهية عما هو مُذخَّر له في السماوات، كل هذا يرفع المؤمن وينعش روحه ويقوِّيه لمواصلة السعى في هذه البرية واحتمال الآلام والمضايقات التى تواجهه، وهو في هذا ليس غائباً عن الوعى أو هارباً من الواقع بل مرتفعاً فوقه ومنتصراً عليه بوسائط حقيقية ومؤكدة.

إن شارب الخمر يحلق برأسه فوق السحاب وترتفع أقدامه من فوق الأرض ليهرب من الواقع بواسطة أجنحة الوهم والخيال، ولكنه عندما يفيق من الخمر لا تستطيع هذه الأجنحة الهشَّة أن تحمله فيما بعد، فيهوى بكل ثقله إلى الأرض متحطماً!! أما المؤمن الممتلىء بروح التعزية فترتفع هامته فوق السحاب وتنظر عيناه إلى ما فوق الغيوم ولكن أقدامه تظل تسير على الأرض لا ترتفع فوقها. لذلك فهو دائماً في مأمن من السقوط والتحطيم!!

الكرمة الحقيقية

قال الرب عن نفسه أنه هو الكرمة الحقيقية ونحن الأغصان في هذه الكرمة، إشارة إلى كونه له المجد هو المصدر للفرح والتعزية الحقيقية في هذا العالم مقارنة مع الكروم الأخرى التى تعطى للإنسان فرحاً مؤقتاً وتعزية زائلة، لذلك فلا عجب أن أول ثمار الروح التى ينبغى أن نحملها نحن الأغصان هو الفرح (غلا ٥:٢٢).

كلمة لابد منها !!

نريد أن نؤكد هنا أنه رغم بعض الفوائد التى للخمر إلا أن الكتاب ينهى تماماً عن سوء استخدامها وتحويلها إلى مادة للسُكر والإدمان، والآيات التى تؤكد هذا لا حصر لها في العهدين القديم والجديد (أم ٢٠:١ ، ٢٣:٢٩ ـ ٣٥ ، ١كو ٥:١١ ، ١بط ٤:٣) وكم أفسدت الخمر حياة رجال كثيرين مثل نوح ولوط، وللحديث بقية.

قلنا إن الصورة الرمزية للخمر تشير إلى شخص الروح القدس بصفته روح التعزية والفرح. والحق أن هذا الجانب من شخص الروح في غاية الأهمية لحياتنا، فمَنْ منا لا يحتاج بين الحين والآخر إلى لمسات تعزية وتشجيع، وسط ضغوط الحياة ومسئولياتها. هناك لحظات راحة يمنحها روح التعزية وبدونها لا نستطيع أن نكمل المسيرة، فالإنسان لا يستطيع أن يظل تحت المسئولية كل الوقت، لابد من وقت يستريح فيه ويشعر أن آخر يحمل مسئوليته!! يشعر أن هناك إله يكتنفه ويهتم به ويحميه!! هذا هو إحساس التعزية الذى لا غنى لنا عنه، إننا مراراً كثيرة نحتاج إلى موضع خلاء لنستريح قليلاً !!

وهناك معانٍ كثيرة لكلمة «المعزى» التى أطلقها الرب على شخص الروح القدس، من ضمن هـذه المعـانى أنـه

يعطى دفئاً للمشاعر

الطفل الصغير لكى ينمو نمواً سليماً جسدياً ونفسياً لا يحتاج فقط للنصائح والتعليمات الجافة لكنه يحتاج أيضاً إلى حضن أب واعٍ وأم حنون، حضن يمنحه لحظات من الدفء تسكّن اضطرابه وتهدّئ روعه، حضن يخرج منه وهو أكثر قدرة على مواجهة مسئوليات الحياة، حضن يجدد قواه وينعش نفسه.

ونحن أيضاً لكى ننمو روحياً لا نحتاج فقط إلى التعاليم والوصايا بل نحتاج أيضاً لأحضان روح التعزية المبارك، إنه يعطى للنفس حضناً ودفئاً للمشاعر، وهذا الحضن يشبه.

حضن الآب

يقول الكتاب «كما يتراءف الأب على البنين يتراءف الرب على خائفيه» (مز ١٠٣:١٣) هناك لحظات نحتاج فيها أن ينقل لنا الروح مشاعر «الترأف» هذه، إننا لا نستطيع أن نرى اللّه الخالق والسيد والديان فقط، لابد أن نراه أيضاً آب يتراءف علينا، إننا لا نستطيع أن نعيش تحت المسئولية بعض الوقت لكن هناك لحظات فيها تضعف قوانا ورغماً عنا تتعثر خطانا، وتخذلنا حكمتنا وتقصر قدرتنا عن مواصلة السعى، وعندئذ نحتاج أن يكتنفنا روح التعزية بمشاعر الأب الذى يتراءف علينا ويحبنا رغم كل ضعفنا، الأب الذى لا يقبل أن يحمّلنا أكثر من طاقتنا، الأب

الذى يعرف جبلتنا ويذكر أننا تراب نحن، الأب الذى يغفر وينسى ويجدد فينا القوة والرغبة في مواصلة السعى، مَنْ منا لا يحتاج إلى هذه المشاعر بل مَنْ منا لم يحتاجها فعلاً مرات عديدة، لذلك كان اسم «الآب» هو الإعلان المميز الذى أتى به رب المجد عن شخص اللّه. والواقع أن حضن الأب يتميز بأنه حضن :

يعلـم

«أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه» (مت ٦:٨) حضن الأب هو حضن واعٍ، لا يمنح دفئاً كاذباً يغيِّب الذهن عن الوعى والواقع، بل هو حضن «يعلم» كل احتياجاتنا ويُسر بأن يسددها بحسب غناه في المجد.

كم من أحضان ووسائل أخرى يلجأ إليها الإنسان لكى يهرب من احتياجاته لكنه يعود أكثر جوعاً وعوزاً، لأنها أحضان لا «تعلم» ما نحتاج إليه !!

يربِّى

يقول الكتاب «ربَّيت بنين ونشأتهم» (إش ١:٢) حضن الأب لا يعطى دفئاً للمشاعر فقط بل بواسطة هذه المشاعر يغرس حقه في داخل نفوسنا، إنه يعطى تعزية ممزوجة بالحق، الأب الصالح هو الذى يعرف أن يمزج تعليمه مع رأفته حتى تصل التعاليم بسلامة وهدوء أعماق نفس الابن وتنغرس هناك. إن أثقل التعاليم والمسئوليات إذا قيلت في حضن دافىء تصير خفيفة وسهلة!! ألم يقل يوحنا «وصاياه ليست ثقيلة»؟ ولماذا قال هذا؟ لأنه كان دائماً يتكىء في حضن يسوع!!

الخمر قد تعطى دفئاً مؤقتاً للمشاعر لكنها في ذات الوقت تجرِّد الإنسان من كرامته وتنحدر بأخلاقه إلى الحضيض، أما تعزية الروح فهى مثل حضن الأب الذى يترأف ويربِّى في ذات الوقت.

يحمى

يحتاج الطفل أن يرتمى في حضن أبيه حين يستشعر الخطر المحيط به، ومَنْ مثل الأب يمنح الحماية لأبنائه حتى أنه يقول «مَنْ يمسُّكم يمسُّ حدقة عينه» (زك ٢:٨) كثيراً ما بسط روح التعزية جناحيه حولنا وحجب عنا الشر الآتى علينا، وكثيراً ما رتَّب لنا مائدة تجاه مضايقينا !! (يتبع).

المؤمن يحتاج إلى تعزية الروح القدس التى تعطى دفئاً للمشاعر، والتى تشبه في بعض جوانبها مشاعر الأبوة الحميمة، المشاعر التى تربِّى وتحمى وتسدد الاحتياج، واليوم نضيف أن تعزية الروح تشبه في جوانب أخرى:

حضن الأم

يقول الرب «هأنذا أدير عليها سلاماً كنهر ومجد الأمم كسيل جارف فترضعون وعلى الأيدى تُحملون وعلى الركبتين تُدلَّلون، كإنسان تعزيه أمه هكذا أعزيكم أنا» (إش ٦٦:١٢، ١٣) هنا يشبِّه الرب تعزيته لشعبه بتعزية الأم ـ وليس الأب ـ لطفلها، لماذا؟ لأن حضن الأم يمتاز بعدة مميزات:

الحنــان

الحنان هو المحبة المجرَّدة دون انتظار لأى مقابل أو رد فعل، فإذا قلنا إن حضن الأب يشمل دائماً التعليم والتأديب فإن حضن الأم يعنى دفئاً وحناناً دون أن يتكلم أو يقدم النصائح.

في أحيان كثيرة يحتاج الإنسان لمشاعر الحنان هذه، وبالأكثر في أوقات الخطأ وجرح المشاعر حين يكون الإنسان في وضع لا يريد فيه أن يسمع نصائح أو ينال تعليماً أو يتعرض لتوبيخ، إنه يحتاج إلى محبة فقط، محبة تُضمِّد جراحه وتُعيد كرامته، محبة لا تذكِّره بخطئه ولا تنبش في جرحه بل ترفعه فوقهما.

فيما بعد وبعد أن يهدأ روعه وتطيب جراحه قد يكون من الضرورى أن يضمُّه حضن آخر، حضن أبوى يمزج المحبة بالتعليم والنصح والتقويم، لكن لأول وهلة يحتاج الإنسان المجروح أن يرتمى في حضن الأم.

لذلك يشبِّه الرب معاملاته مع شعبه في هذا الجزء بمحبة الأم وليس الأب، لأن الشعب كان راجعاً من أوضاع مزرية وأخطاء متكررة أطاحت به بعيداً عن مرضاة اللّه لسنوات طويلة، ولقد نال من قصاص اللّه ما أبلى لحمهم وجفَّف عظامهم، وصار الشعب إلى حال لم يعد يقوى فيه على احتمال المزيد من اللوم ولا يستطيع الخضوع لمزيد من التأديب، لذلك يعدهم الرب بسلام كنهر ومجد كسيل جارف، ولا يذكر حتى خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد، فتفرح قلوبهم المكسورة وتزهو عظامهم المسحوقة، وما أشبه هذه المحبة بمحبة الأم!!

التدليل

التدليل هو المحبة الزائدة عن الحاجة!! المحبة في وقت الألم والاحتياج ليست تدليلاً بل ضرورة، أما بعد أن تشفى المحبة جراحنا وتسدد احتياجنا فإن استمرارها بعد ذلك يصبح «تدليلاً»، عندما يكون الطفل مُشبَعاً في نفسه وجسده ثم يجد مزيداً من المحبة تتدفق نحوه عندئذ يشعر بمشاعر جديدة هى مشاعر «الدلال»!! حيث يشعر بأنه محبوب ليس فقط لأنه محتاج للمحبة بل لأنه موضوع للمحبة وهدف لها في حد ذاته حتى لو لم يكن محتاجاً.

وهذا ما فعله الرب مع شعبه وما يفعله دائماً، فهو لا يعطى سلاماً قدر الحاجة بل سلاماً فائضاً كنهر، ومجده ليس بحسب الاحتياج بل كسيل جارف، إنه دائماً يكيِّل في أحضاننا كيلاً ملآناً ومهزوزاً وفائضاً، وكثيراً ما أعطانا أكثر كثيراً مما نطلب أو نفتكر، وكثيراً ما أعطانا في وقت لم نكن نشعر فيه بالاحتياج المُلح، هذه المحبة المدلِّلة هى أقرب لمحبة الأم.

الرضاعــة

بالنسبة للرضيع حضن الأم ليس حناناً ودلالاً فقط بل أيضاً غذاء وشبعاً، وما أعظم لبن الأم المقترن بحنان حضنها، إنه أكسير الحياة وضرورة للنمو السليم، إنه غذاء سهل الهضم وكافٍ في قيمته الغذائية في أثناء شهور الطفل الأولى.

والرب كثيراً ما تعامل معنا بهذه النوعية البسيطة من التعزية، بالذات في بدايات حياتنا الروحية، حيث كان يمزج محبته وحنانه بكلمات بسيطة مشجِّعة للنفس يقول عنها الرسول «سقيتكم لبناً لا طعاماً لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون» (١كو ٣:٢).

لذلك يقول الرب لشعبه الراجع أنهم «سيرضعون» أى أنه سيتكلم معهم كلاماً بسيطاً مغذياً ومشبعاً للنفس ولن يثقل كاهلهم بكلمات وتعاليم ثقيلة. ما أشبه تعزية الروح في أوقات رجوعنا الأولى بحضن الأم الذي يُرضع!!

ولــكن

إذا كانت مشاعر الأبوة والأمومة التى غرسها الرب في نفوس البشر ما هى إلا قبساً من مشاعره هو له المجد إلا أن محبته تبقى أعظم بما لا يقاس، فمحبة الأب والأم كثيراً ما تشوبها النقائص والسلبيات وفي أفضل أحوالها لا تبلغ الكمال، فكم جرحت قسوة الآباء الأبناء، وكم أفسد الحنان والدلال نفوس الأبناء بدلاً من تقويتها، ولذلك يقول الكتاب أن آباء أجسادنا أدَّبونا «حسب استحسانهم» وأن الأم قد تنسى رضيعها ولا ترحم ابن بطنها، أما تعزية الروح فهى تبقى أعظم وأكمل (يتبــــع).

قلنا إن الصورة الرمزية للخمر تشير إلى شخص الروح القدس باعتباره «المعزِّى»، وقلنا إن أحد معانى «المعزِّى» هو الشخص الذى يُهدِّىء روعنا ويطمِّئن مشاعرنا ويمنحنا الراحة والمعونة والتشجيع، تماماً كما يحتاج الطفل المضطرب إلى حضن أبويه لكى يهدأ ويطمئن بل يتغذى ويتعلم أيضاً، واليوم نضيف أن «المعزى» لها معنى آخر، ألا وهو

الشفيــع

نفس الكلمة اليونانية المترجمة «المعزى» في إنجيل يوحنا هى المترجمة «شفيع» في قول الرسول «إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار» (١يو ٢:١) وهى تعنى المحامى الذى يقف بجوار المتهم يدافع عنه ويعضده ويحاول اثبات براءته.

نفس المعنى تكلم عنه الرسول بولس في قوله «الروح أيضاً يعين ضعفاتنا، لأننا لسنا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغى ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا يُنطق بها... لأنه بحسب مشيئة اللّه يشفع في القديسين» (رو ٨:٢٦، ٢٧).

إذاً أحد أعمال الروح القدس هو أنه شفيع فينا بحسب مشيئة اللّه، وهذه الشفاعة ضرورية جداً لحياتنا وبدونها لا نستطيع أن نُرضى اللّه، ولكن للأسف فهذه الشفاعة مُحاطة بالكثير من الجهل والغموض، نحن نحب أن نسمع كثيراً عن شفاعة الرب يسوع لكن ما أقل ما نلتفت لشفاعة الروح القدس !! ولكى نفهم العلاقة بين شفاعة الرب وشفاعة الروح ينبغى أن نفهم أولاً

قصد اللّه الكامل من الفداء

إن قصد اللّه من فدائنا لا يكمل بمجرد غفران خطايانا ورفع دينونتها عنا، والرب يسوع لم يبذل حياته لكى يحمل عنا قصاص الخطية فحسب بل بالحرى لكى يمنحنا إمكانية الحياة المقدسة، يقول الرسول «أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكى يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة، لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شىء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب» (أف ٥:٢٥ ـ ٢٧).

إذاً فقصد اللّه الكامل من فدائنا ليس فقط أن تُغفر خطايانا بل بالحرى أن لا نخطىء، أن نكون قديسين وبلا لوم، الخطية ينبغى أن تكون وضعاً استثنائياً شاذاً في حياة المؤمن لأن القداسة هى

الوضع الطبيعى المستقر، لذلك يقول يوحنا «أكتب إليكم هذا لكى لا تخطئوا، وإن أخطأ أحد فلنا شفيع... » أى أن أمر اللّه المبدئى لنا هو أن لا نخطىء، ولكن إذا أخطأ أحد ـ استثنائياً ـ فلنا شفيع عند الآب هو الرب يسوع المسيح.

شفاعة الروح وشفاعة الرب

الكتاب يعلمنا أن لنا شفيعين: أحدهما في السماء والآخر على الأرض. الأول يشفع «عنا» أمام عرش الآب والثانى يشفع «فينا» في داخل أرواحنا، إنهما الرب يسوع والروح القدس.

والحقيقة أننا في احتياج شديد لكلا الشفاعتين لأن لكل منهما مجالاً يختلف عن الآخر، فشفاعة الرب يسوع شفاعة قضائية بينما شفاعة الروح عملية حياتية، الرب يسوع يشفع عنا أمام قضاء اللّه وعدالته أما الروح فيشفع فينا أمام تحديات الواقع وصعوباته، شفاعة الرب تسعى لرفع القضاء عنا أما شفاعة الروح فتسعى لتقديس حياتنا.

في ضوء ما قلناه تواً عن قصد اللّه الكامل من فدائنا نقول: إننا نحتاج إلى شفاعة الروح داخلنا لكى لا نخطىء ونحتاج إلى شفاعة الرب عنا إذا أخطأنا!! الروح يعين «ضعفاتنا» أما الرب فيغفر «خطايانا»!! شفاعة الروح تعنى أنه يقوِّينا ويساعدنا لكى نحيا حياة مقدسة مرضية عند اللّه، أما شفاعة الرب يسوع فتعنى أنه يقدم أمام الآب ذبيحته الكاملة ودماءه الطاهرة، تكفيراً عن حياتنا غير المقدسة، شفاعة الروح تصنع شيئاً إيجابياً في حياتنا أما شفاعة الرب فتغفر الشىء السلبى في حياتنا، شفاعة الروح تسعى لكى تأتى برضا اللّه على حياتنا أما شفاعة الرب فترفع غضبه عنها !!

الشفيع ـ والمشتكى !!

هذه التعبيرات الكتابية مأخوذة من ساحات القضاء، فإذا كان الشفيع هو المحامى فإن المشتكى هو ممثل الادعاء!! المشتكى يسعى لكى يثبِّت الاتهام علينا والشفيع يسعى لتبرئة ساحتنا، وعمل إبليس كالمشتكى عمل مزدوج: فهو يسعى لاسقاطنا في الخطية عملياً ثم يصعد أمام عدالة اللّه مطالباً بالقصاص منا، لذلك نحن نحتاج إلى شفاعة مزدوجة أيضاً: الروح يسعي لكى لا نسقط عملياً في الخطية وإذا سقطنا فشفاعة الرب أمام الآب ترفع عنا القصاص، وللحديث بقية.

قلنا إن لنا شفاعة مزدوجة: الرب يسوع هو شفيعنا أمام الآب لأجل غفران الخطايا، والروح القدس هو شفيعنا في داخل أرواحنا لأجل أن نعيش حياة مقدسة أمام اللّه، وشفاعة الروح تلك تظهر في أكثر من مجال، وأول هذه المجالات هو

الصلاة

الصلاة هى وسيلة شركتنا مع اللّه، ولكى تكون صلاتنا مؤثرة ومستجابة ينبغى أن تكون متوافقة مع مشيئة اللّه وقصده في حياتنا، فإذا كانت الصلاة الخارجة من قلوبنا متوافقة مع القصد الموجود في قلب اللّه فإنها تكون صلاة فعَّالة تحرك قلوبنا كما تحرك قلب اللّه!!

لكن المشكلة أن معرفة مشيئة اللّه والصلاة في اتجاهها ليست دائماً أمراً سهلاً، توجد مشيئة عامة للّه وهي مُعلنة في الكتاب المقدس، مثل كونه يحب العالم كله ويريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون، هذه المشيئة من السهل معرفتها والصلاة في اتجاهها بأذهاننا لأنها معلنة في كلمات واضحة للذهن، لكن هناك مشيئة خاصة بكل فرد منا وبكل يوم من أيام حياتنا، مشيئة تخص التفاصيل الدقيقة في حياتنا، هذه المشيئة الخاصة لا نستطيع بسهولة أن ندركها بأذهاننا لأنه ما أبعد أفكار اللّه عن أفكارنا وطرقه عن طرقنا، هذه المشيئة لا نستطيع أن نجدها في كلمات واضحة لأذهاننا لكن ينبغى أن نتعرَّف عليها كل يوم من خلال أرواحنا، هذه المشيئة الخاصة هى ما قصدها الرسول بقوله «لأننا لا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغى ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا يُنطق بها» (رو ٨:٢٦).

بسبب القصور الإنسانى نحن لا نعرف المشيئة التى نصلي لأجلها، وإذا عرفناها لا نستطيع أن نصلى لأجلها «كما ينبغى»، أى لا نستطيع أن نعطى الصلاة حقها من المواظبة واللجاجة حتي تُستجاب، ضعفنا البشرى يضع فجوة بيننا وبين مشيئة اللّه، مَنْ يشفع في ضعفنا هذا؟ مَنْ يعين قصورنا ونقصنا حتى نعرف مشيئة اللّه ونصلى لأجلها كما ينبغى؟

إنه شخص الروح وحده! لأنه الوحيد الذى يعرف مشيئة اللّه الخاصة لكل منا، لأنه الوحيد الذى يفحص كل شىء حتى أعماق اللّه (١كو ٢ : ١٠) وهو الوحيد القادر أن ينقل هذه المشيئة لأرواحنا لكى نصلى لأجلها كما ينبغى.

وسائل الشفاعة

لأن هذه المشيئة الخاصة غير مُعلنة لأذهاننا لذلك يجد الروح صعوبة في استخدام ألسنتنا للنطق بكلمات مفهومة تعبيراً عن هذه المشيئة، لذلك فهو يلجأ لوسائل أخرى للتعبير عن هذه المشيئة، يقول عنها الرسول هنا: «أنات لا يُنطق بها»، أى لا يمكن التعبير عنها بكلمات مفهومة، في هذا الوقت يشعر المؤمن بتحرك الروح بداخله ورغبة جارفة لرفع صلاة أمام اللّه رغم عدم وجود مادة مفهومة في ذهنه، مما يدفعه للتعبير عن هذا التحرك بأنات مكتومة وأحياناً بدموع وربما صرخات!!

هذه هى شفاعة الروح في أرواحنا، إنه يصلى في داخل أرواحنا بالنيابة عنا!! إنه يرفع لأجلنا طلبات بحسب مشيئة اللّه التى لا يعرفها إلا شخصه وحده!! وكل هذا دون أن يدرك الذهن أى شىء!! وتستمر هذه الأنات حتى نشعر براحة في أرواحنا ونتيقَّن أن صلاتنا قد استجيبت!!

وإذا سألنا كيف يستجيب الرب لصلاتنا رغم أننا لم ننطق بأى كلمات مفهومة يجيبنا الرسول: «إن الذى يفحص القلوب يعرف ما هو اهتمام الروح» (رو ٨:٢٧). إن اللّه لا يستمع لكلمات أفواهنا فقط بل بالحرى يفحص قلوبنا ويعرف ما يقصده الروح بأنَّاته المكتومة تلك!!

شفاعة الروح تلك واجبة الاستجابة!! لا يمكن أن يرفضها اللّه، لماذا؟ لأنه «بحسب مشيئة اللّه يشفع في القديسين»، إن شفاعة الروح هى بحسب مشيئة اللّه لنا، هناك توافق تام بين ما يطلبه الروح وما يريده اللّه، لذلك فالصلاة التى تستجاب فوراً هى الصلاة التى نرفعها بشفاعة الروح القدس.

هناك أيضاً موهبة التكلم بألسنة التى قد يستخدمها الروح لكى يشفع فينا بكلمات غير مفهومة لأذهاننا لكنها مفهومة أمام اللّه، في هذا الوقت يكون المؤمن متحدثاً «بأسرار» (١كو ١٤:٢) أى بأمور غير مُعلنة لذهنه هو نفسه، لكن فيما بعد وبعد أن تُستجاب شفاعة الروح وتبدأ تتحقق في أرض الواقع عندئذ يبدأ الذهن يدرك ما كان الروح يصلى به، ولا يعود بعد «أسراراً» بل «معلنات»!!

إذاً .. لا تطفئوا الروح !!

إذا كانت شفاعة الروح بهذه الأهمية وبدونها لا نستطيع أن نصلى كما ينبغى، إذاً دعونا نخضع لقيادة الروح ونفسح له المجال لكى يشفع فينا، ونتعلم كيف نصغى لأنَّاته ونتجاوب معها. (يتبع).

قلنا إن الروح يشفع فينا في عدة مجالات، وأول هذه المجالات هو الصلاة، حيث أننا في أحيان كثيرة لا نعرف ما نصلى لأجله كما ينبغى ونحتاج لشفاعة الروح فينا بأنات لا يُنطق بها، عندئذ يتخطى الروح قصورنا عن فهم مشيئة اللّه واضعاً فينا الصلاة المرضية أمام إلهنا، واليوم نضيف أن الروح يشفع أيضاً فينا في مجال ثانٍ ألا وهو:

الحرب الروحية

إننا لا نعانى القصور تجاه مشيئة اللّه فقط بل أيضاً تجاه حربنا مع إبليس والعالم، إننا نواجه عدواً شرساً يمتلك قدراً كبيراً من الذكاء والقدرة، إذا تُركنا لأنفسنا في مواجهة هذا العدو فإنه بلا شك يبتلعنا أحياء، إن مكايده وحبائله المنصوبة في طريقنا تكفى لاقتناص أفضل المؤمنين وأكثرهم روحانية إذا تخلّت عنه معونة الروح وشفاعته.

لكن نشكر اللّه أن الروح المبارك يقف في ثغرة حياتنا ويعيننا لكى نفهم فكر عدونا ونفضح أساليبه ونتتصر عليه، إن الروح يعطينا أن نفهم فكر اللّه لكى نصلى كما ينبغى ويعطينا أن نفهم فكر إبليس لكى نحارب كما ينبغى، وإذا كانت وسيلته لفهم مشيئة اللّه هى الأنات غير المنطوقة فإن وسيلته لفهم فكر إبليس هى

معرفة الحق

في خطاب الرب الوداعى لتلاميذه وبعد أن تكلم معهم عن ذهابه إلى الآب وعن الضيق الذي سيكون لهم في العالم بسبب مقاومة رئيس هذا العالم لهم، نراه يقدم لهم الوسيلة التى ستعطيهم القدرة على مواجهة كل هذه الصعاب والانتصار عليها، اسمعه يقول «وأما المعزى الروح الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شىء... متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلي جميع الحق» (يو ١٤:٢٦ ، ١٦:١٣).

إذاً الوسيلة التى يعيننا بها الروح لمواجهة إبليس هى أنه يعلّمنا كل الحق، إن سلاح إبليس هو الكذب لأنه الكذّاب وأبو الكذب (يو ٨:٤٤ حسب الترجمة التفسيرية) والإنسان يصدق الكذب في حالة عدم معرفته للحقيقة، إذ لا يوجد إنسان واحد عاقل يصدق الكذب وهو يعلم أنه كذب، أى أن إبليس يجد فرصته للسيطرة على حياة الإنسان طالما كان هذا الإنسان لا يعرف الحق، كل

منطقة فينا تجهل حق اللّه هى منطقة قابلة لتصديق كذب إبليس، وبالتالى هى منطقة قابلة للسقوط أمام هجوم العدو والوقوع في قبضته وأسره، أما إذا استطاع الروح أن يعلّمنا كل الحق فإنه يحصننا من أكاذيب العدو فنستطيع أن نفضح أفكاره ولا نخضع لها، لذلك يقول رب المجد: «وتعرفون الحق والحق يحرركم» (يو ٨:٣٢). إن الحق هو القوة المحرِّرة من كل قيود الكذب التى يقيِّد إبليس بها الإنسان، إن التحرر من سلطان العدو لا يحتاج إلي عنف وصراخ وانفعال بل بالحرى يحتاج إلى إنارة الحق بقوة الروح في أعماق أرواحنا المأسورة!!

ترسٌ و مجنٌ حقه

من (مز ٩١:٤) نتعلَّم أن حق اللّه هو الترس والمجن اللذان بهما نستطيع أن نطفىء جميع سهام العدو الملتهبة، وأيضاً في (أف ٦:١٤) نجد الرسول بولس يضع الحق كأول قطعة في سلاح اللّه الكامل، ويشبه الحق بالمنطقة التى تحيط بجسد الجندى وتمنحه الصلابة في مواجهة عدوه.

جميع الحق

يستخدم الرب تعبيرات مثل «كل شىء» و «جميع الحق» ليؤكد لنا أننا ينبغى أن نتعلم الحق كله وليس بعض أجزائه، فالحق كلٌ لا يتجزء، إن أى جزء مهدوم في سور المدينة يجعل السور غير كافٍ لحماية المدينة، وأى جزء ناقص في سلاح الجندى يجعله غير كفء للمعركة، ولذلك يقول الرب جميع «الحق» وليس جميع «الحقائق»، فالحق كتلة واحدة لا يمكننا قبول بعض أجزائه وترك الأخرى، إنه كيان حى، إنه طبيعة اللّه نفسه، لذلك قال يسوع «أنا هو... الحق»!!

بين الحق والحقائق !!

ما أبعد الفرق بين «الحق» الذى يغرسه الروح القدس في أعماقنا وبين «الحقائق» التى قد نتعلَّمها بأذهاننا، إن مجرد المعرفة الذهنية للحقائق الكتابية لا تكفى للانتصار في الحرب الروحية، إننا نحتاج إلي الحق الحى الذي يغرسه الروح القدس في داخل أرواحنا، فكم من أصحاب المعرفة الذهنية سقطوا في فخاخ العدو وكان سقوطهم عظيماً!! (يتبع).

قلنا إن الروح المعزِّى يشفع فينا في عدة اتجاهات، في اتجاه علاقتنا باللَّه هو يشفع فينا بأنات لا ينطق بها لكى يجعلنا نصلى بحسب مشيئة اللَّه، وفي اتجاه حربنا مع إبليس هو يعلِّمنا كل الحق الذى به نفضح كل أكاذيب العدو، واليوم نضيف أن الروح يعيننا في اتجاه ثالث ألا وهو

الخدمـــة

قال رب المجد «ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب.. فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون لأنكم تُعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به، لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم» (مت ١٠: ١٦ ـ ٢٠) إن الروح الذى يصلى فينا أمام اللَّه هو نفسه يتكلم فينا أمام الناس!!

لقد أرسل الرب تلاميذه برسالة الحياة إلى العالم أجمع، وكان عدم التكافؤ ظاهراً بين التلاميذ وبين الإرسالية المنوطة بهم، فمعظمهم كان عامياً محدود المعرفة لم يخرج تقريباً من قرى الجليل الفقيرة إلا إلى أورشليم في المواسم والأعياد، كيف يستطيع هؤلاء البسطاء أن يكرزوا للعالم أجمع ويقفوا أمام مجامع وملوك ويحاجُّوا علماء الشريعة وأصحاب أفكار ومبادىء؟! إن القصور الذهنى كان يمثِّل عائقاً كبيراً في سبيل إتمام هذه الإرسالية.

الروح يشفع في القصور الذهنى

في يـوم الخمسين وما تلاه نرى صورة رائعة لشفاعة الروح في القصـور الذهنى للتلاميذ، ونراه ينطق على أفواههم بكلمات المنطق والحجة التى كانت دائماً تُفحم سامعيهم وتؤثِّر فيهم وتُخرس ألسنتهم!!

عندما ننظر إلى بطرس وهو يقف ليتكلم أمام الآلاف بكل سلطان وقوة نندهش بشدة إذ نراه يقتبس من النبوات القديمة، وتزداد دهشتنا عندما نراه يفسِّر النبوات ويطبقها على الأحداث الجارية كأنه خبير في دراسـة النبوات وتفسيرها رغم كونه عامياً لم نسمعه يناقش الرب مرة في نبوة أو تفسير!!

والعجيب أن نوعية سامعيه كانت على النقيض منه، فمعظمهم كانوا يهوداً أتقياء من كل أمة

تحت السماء، ومَنْ يتكبد مشقة السفر من أمة بعيدة لكى يسجد في أورشليم لابد أنه من الطبقة الراقية الغنية المتعلِّمة، الذين لا يقبلون بسهولة أى فكر ولا يخضعون بسذاجة لأى منطق.

ومع ذلك نجد كلمات بطرس حركت قلوبهم ونخستها، وأقنعت أذهانهم بأسلوب لا يقبل المجادلة، كيف حدث هذا ؟! إنها بلا شك شفاعة الروح القدس ومعونته، فبطرس ليس هو المتكلم ولا المفكِّر ولا المفسِّر بل بالحرى روح أبيه الذى فيه.

... والقصور الروحى !!

قد يكون هناك أشخاص أذكياء بالطبيعة ومتعلمون وأصحاب فكر ومنطق، ولا تعوزهم القدرة على مقارعة الحجة بالحجة واقناع سامعيهم، أمثال بولس وأبولس واستفانوس.. هل هؤلاء ليسوا في حاجة لشفاعة الروح هذه؟ حاشا، فالقصور الإنسانى عن أداء خدمة إلهنا ليس فقط قصوراً ذهنياً بل هناك أيضاً قصور روحى.

إننا روحياً لا نستطيع أن نستوعب كل أرواح الناس الذين نخدمهم، ولا يوجد خادم ـ مهما كان ذكياً ـ يستطيع أن يدرك أعماق واحتياجات الشعب الذى يخدمه بشكل كامل ودائم، إننا نتعامل مع الظاهر أما الأعماق فتخفى أشياء كثيرة، كيف إذاً نستطيع أن نقدم لهم الحق ومن أي جانب؟ كيف يمكن أن تكون كلماتنا كتفاح من ذهب في مصوغ من فضة؟ كيف تصل الكلمة المناسبة إلى المكان المناسب في الوقت المناسب؟ الإجابة تكمن في شفاعة الروح وحدها، لأن الروح يعرف احتياجات الناس الحقيقية ويكشف أعماقهم االمستورة ويستطيع أن يرسل إلي تلك الأعماق الكلمة المناسبة، حتى أذكى الخدام وأكثرهم فصاحة يحتاج أن يتكل على معونة الروح داخله ليعرف ماذا يقول وبماذا يتكلم.

وقف بولس مرة أمام فيلكس الوالى لكى يحاج عن تهم نسبها إليه اليهود ولكننا نندهش إذ نجده يتكلم عن البر والتعفف والدينو نة (أع ٢٤:٢٥). ما علاقة البر والتعفف والدينونة بموضوع المحاكمة؟! إنها بلا شك قيادة الروح القدس الذى يعرف الأعماق الحقيقية لفيلكس الوالى، لذلك لا غرابة أن نجد فيلكس يرتعب!! فالكلمات إذا خرجت من الأفواه فإنها تدغدغ الآذان، وإذا خرجت من الأذهان فقد تحرك الأفكار، أما إذا خرجت من الروح فإنها تزلزل الأعماق!! يتبع

قلنا إن الروح «المعزِّى» يعين ضعفنا في مجالات شتى: فهو يعيننا في مجال الصلاة فيشفع فينا بأنات لا يُنطق بها، وهو يشفع فينا في مجال الحرب الروحية فيعلمنا كل الحق الذى به نواجه أكاذيب إبليس وننتصر. ويشفع فينا في مجال الخدمة فينطق فينا أمام الناس بما يناسب احتياجاتهم وبما يفوق ـ في أحيان كثيرة ـ علمنا وخبرتنا، واليوم نتحدث عن آخر تلك المجالات وأعمقها ألا وهو:

الصراع الداخلى (غل ٥:١٧)

يعلمنا الكتاب أن صراعنا الأكبر ليس مع العالم أو إبليس بل مع كيان فاسد موجود في أعماقنا، فإذا كان العالم وإبليس قوي خارجية يمكن تمييزها فإن هذا الكيان يختبىء في اللاوعى داخلنا ويصعب تمييزه بسهولة، يعمل في الخفاء مثل الجاسوس لصالح العدو يُفسد أشياء في حياتنا دون أن نراه ويقطع علاقتنا مع اللّه مراراً دون أن نشعر!! والكتاب يستخدم بعض الأسماء للدلالة على هذا الكيان، وكل تسمية لها معنى خاص وتشير إلى جانب مختلف من جوانب هذا الكيان:

الإنسان العتيق (رو ٦ : ٦)

إن هذا الكيان ليس مجرد قوى غريزية عشوائية كما يظن البعض بل هو «إنسان» كامل له فكر ومشاعر وإرادة، إنه كيان عاقل متكامل، إذا تركنا له الفرصة يستطيع أن يقود الحياة كلها!! بل إنه بالفعل يقود حياة الناس ويسيطر عليهم ويسبيهم إلى فعل الخطية ولو من طرف خفى !!

والرسول يستخدم كلمة «إنساننا» العتيق بالمفرد وليس بالجمع لأن هذا الكيان له جوهر واحد في جميع الناس، قد تختلف أشكاله وأساليبه من شخص إلى آخر بحسب البيئة والنشأة والثقافة لكى يبقى الجوهر واحد لأن جذور هذا الكيان ترجع إلى بذرة واحدة !!

فهذا الكيان «عتيق» لأن جذوره قديمة ترجع إلى نشأة الإنسان الأولى في جنة عدن. لقد ألقى إبليس بذرة هذا الكيان في داخل الإنسان البرىء عندما همس في أذن حواء أن تكف عن الخضوع لمشيئة اللّه وتنصاع لشهوتها، سقطت هذه البذرة في أرض الإنسان ولاقت قبولاً منه فرعاها واحتضنها على مدار الأجيال، وسقاها من عصارة ذهنه ومشاعره حتى صارت شجرة عميقة الجذور

يستحيل اقتلاعها، وأصبحت إنساناً متكاملاً له فكره ومنطقه ونظرته للأمور ولذلك يسميه الرسول أيضاً:

ناموس في الأعضاء (رو ٧:٢٣)

«ناموس» تعنى أن هذا الكيان له حكمه ومقاييسه للصواب والخطأ والخير والشر أى أنه ليس مجرد غرائز غير عاقلة بل سيداً قاسياً له سلطانه على الإنسان كله!! لكن المشكلة أن حكمه ومقاييسه مخالفة تماماً لحكم ومقاييس اللّه. إنه يستطيع أن يُريح الضمير على أفعال أثيمة ويزعجه جداً إذا قرر فعل مرضاة اللّه!!

وهذا الناموس هو «في أعضائنا» أى أنه في صميم تكويننا، إنه ليس عدواً خارجياً يمكن تجنبه بل داخلياً لا يمكننا الهروب منه، إنه متغلغل في كل أجزاء الكيان. كامن خلف كل الأفكار ورابض وراء كل المشاعر ومحرك لكل إرادة!! إنه يُولد معنا وينمو معنا ولا يفارقنا إلا بالموت.

حيات أولاد أفاعى (مت ٢٣:٣٣)

عندما وصف الرب الكتبة والفريسيين بهذه العبارة لم يكن يشتمهم ـ حاشا ـ بل كان يصف الحقيقة المجردة، وأحياناً تكون الحقيقة قبيحة مثل الشتيمة!! فهذا الكيان مُخادع ومُراوغ جداً، يجيد التخفى والتلّون، يرتدى أى ثوب ويتكلم بأى لغة لكى يلقى القبول، إذا شعر بنجاسة في الداخل أظهر قداسة في الخارج، وإذا لمس حقداً وحسداً أسرع في إظهار المحبة، لا يعنيه ما بداخل الكأس إذا كان الخارج نظيفاً، يحاول الالتفاف على وصايا اللّه بأن يظهر تقديسه لها في العلن بينما يكسرها كل لحظة في الخفاء، إذا لاحظ الإعجاب في عيون الناس شعر بالرضا عن النفس حتى لو كانت أعماقه تموج بكل شر، إن دينه هو المظهر الجميل وإلهه هو عيون الناس!! لذلك يقول الرب «القلب أخدع من كل شيء وهو نجيس، مَنْ يعرفه؟» (إر ١٧:٩).

وإذا تذكرنا أن إبليس هو «الحية القديمة» ندرك إلى الفور «صلة القرابة» التى بين إبليس وبين هذا الكيان الساقط!! ونفهم لماذا قال الرب «أنتم من أب هو إبليس» (يو ٨:٤٤) إن هذا الكيان يحمل نفس طبيعة إبليس المخادعة!! وللحديث بقية.

قلنا إن الروح المعزي يشفع فينا في مواجهة الكيان الساقط الموجود بداخلنا ، ولقد استعرضنا بعض الأسماء والصفات التي وصف بها الكتاب المقدس هذا الكيان ، فهو "إنسان" عتيق و"ناموس" كامن في أعضائنا و"حية" بنت أفعى !! واليوم نضيف أن هذا الكيان يُسمى أيضاً :

الجسد

أثار هذا الاسم الكثير من سوء الفهم في الأوساط الروحية والسبب أن الرسول يستخدم كلمة "الجسد" بمعنيين مختلفين في كل رسائله ، وعدم التمييز بين هذين المعنيين أدى إلى الخلط بينهما وتسبب في معاناة روحية للكثيرين !! لذلك من الضروري أن نفهم فكر الرسول جيداً ونميز بين هذين المعنيين المختلفين ، المعنى الأول والبسيط هو :

الجسد المادى

وهو الجسد الذى أخذناه بالميلاد وسنتركه بالموت ، وعندما يتكلم الرسول عن الجسد بهذا المعنى نراه يحترمه ويقدِّره ، كيف لا وهو الذى حمل سمات الرب يسوع في "جسده" (غل٦: ١٧) وسعى في كل حياته أن يتعظم المسيح في "جسده" سواء بحياة أو بموت (في١: ٢٠) ولا يظن أحد أن الرسول كان يعتبر الجسد المادى شراً وإلا كيف يصف الكنيسة بأنها " جسد " المسيح (أف١: ٢٣) ؟! لا يمكن أن الرسول يلجأ لتشبيه الكنيسة بالجسد إذا كان الجسد له معانى سيئة في ذهنه ، وفصل الخطاب في هذه المسألة هو قوله الصريح:"فإنه لم يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربّيه كما الرب أيضاً للكنيسة " (أف ٥: ٢٩) وإذا قال الرسول أن أحداً لم يبغض جسده قط فلابد أن الرسول كان يحب جسده !! ولذلك كان يصلى لأجل شفائه (٢كو ١٢: ٨) وطلب من تلميذه تيموثاوس أن يهتم بجسده (١تي ٥: ٢٣) وصلى لكى تُحفظ أجساد مؤمني تسالونيكي كاملة حتى مجيء ربنا يسوع المسيح (١تس ٥: ٢٣)

بل إن تعليم الرسول عن الجسد المادى يتعدّى الاحترام والتقدير إلى التقديس !! فنراه يطلب من مؤمنى رومية أن يقدموا أجسادهم ذبيحة حية "مقدسة" مرضية عند الله (رو ١٢: ١) ولأهل كورنثوس يقول: "أن أجسادكم هي أعضاء المسيح.. أن جسدكم هو هيكل للروح القدس.. فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التى هى لله "(١كو٦: ١٥، ١٩، ٢٠) وهل يمكن أن تكون أعضاء المسيح غير مقدسة ؟! أو هل يسكن الروح في هيكل غير مقدس ؟! وهل يمكن أن يتمجد الله في الجسد كما في الروح إلا إذا كان الجسد يتقدس تماماً مثل الروح ؟! خلاصة القول أن الجسد المادى

مُقدرٌ ومحترم وقابل للتقديس حتى يصير مسكناً للروح القدس وذبيحة مرضية أمام الله وسبب مجد لإلهنا وأداة بر في يد الله (رو٦: ١٣)

أما المعنى الثانى لكلمة " الجسد" في كتابات الرسول بولس فهو:

جسد الخطية (رو ٦:٦)

وهو الإنسان العتيق الشرير الموجود بداخلنا، ومن أشهر الأجزاء التى ورد بها هذا المعنى الإصحاحان السابع والثامن من رسالة رومية حيث نقرأ عنه هذه الصفات : "ليس فيه شيء صالح" ، "جسد هذا الموت " ، " خادم الخطية"، " اهتمامه موت وعداوة لله" ، "لا يستطيع أن يرضى الله" . . . الخ

ومن الاختلاف ـ بل التناقض ـ الواضح بين الأوصاف التى استخدمها الرسول في وصف الجسد المادى وتلك المستخدمة في وصف جسد الخطية نتأكد أن الرسول يقصد أمرين مختلفين تماماً ، فأحدهما يسكن فيه الروح القدس والآخر لا يسكن فيه شيء صالح، أحدهما ينبغى أن يتقدّس ويُقدم لله كذبيحة حية بينما الآخر ينبغى أن يموت ويُصلب ، أحدهما آلات بر لله والآخر خادم للخطية ، أحدهما ينبغى الاهتمام به والآخر الاهتمام به عداوة لله ، إذاً فالجسد المادى لا يمكن أن يكون هو جسد الخطية ، لكن للأسف كم من مؤمنين خلطوا بين المعنيين وعاشوا حياتهم في خصومة مع أجسادهم المادية ، واعتقدوا أن معركتهم هى مع اللحم والدم ، وغاب عنهم أن العدو الحقيقى أعمق من هذا بكثير!!

لماذا الجسد ؟

والآن نسأل لماذا استخدم الرسول كلمة "الجسد" للتعبير عن هذا الكيان الساقط ؟ لماذا لم يستخدم كلمة أخرى تفادياً للخلط بينه وبين الجسد المادى ؟ والإجابة هي : أن هذا الكيان الشرير يمارس قوته وسطوته من خلال احتياجات ورغبات الجسد المادى، يسعى لتضخيم الأمور المادية ليجعل الإنسان يقضى كل حياته يلهث وراءها ، يحرص أن يظل الإنسان منكباً على شهواته منذ ميلاده وحتى موته، أى أن الجسد المادي هو الأداة التي يستخدمها جسد الخطية ـ في معظم الأحيان ـ لممارسة سلطانه على الإنسان ، حتى أننا نستطيع أن نميز سلطان جسد الخطية على إنسان ما من خلال اهتمامه الزائد باحتياجات جسده المادى، وبسبب هذا الارتباط بينهما قرر الرسول أن يستخدم كلمة واحدة للتعبير عنهما ، كلمة واحدة تعبّر عن الدافع الخفى والعمل الظاهر، عن القوة المُحرِّكة والأداة المستخدمة، مع ضرورة بقاء الفرق بينهما واضحاً في ذهن وروح كل من الكاتب المُلهم والقارئ المُختبر !! وللحديث بقية .

الروح المعزى يعين ضعفنا في حربنا مع العدو الأخطر الكامن في أعماقنا ، والذى يسمّيه الكتاب عدة أسماء للدلالة على صفاته المتعددة ، فهو «الإنسان العتيق» و «الناموس» الكامن في أعضائنا و «الحية» المُتلوّنة المُخادعة ، كما أنه «الجسد» ولكن بمفهوم مختلف تماماً عن الجسد المادى ، واليوم نتحدث عن أسوأ أسماء أو صفات هذا الكيان ألا وهو :

ضد الروح (غل ٥: ١٧)

إذا كان إبليس هو «ضد الله» لأنه يحاول أن يكون إلهاً لهذا الدهر ورئيساً للعالم بدلاً من الله الإله الحقيقى وحده والمالك الشرعى للعالم ، وإذا كان العالم الآن يتهيأ لاستقبال «ضد المسيح» الذى سيكون إنساناً مُمتلئاً شراً وكذباً ومُؤيَّداً بكل سلطان إبليس ليُضل العالم كله ويقوده للضيقة العظيمة ، فإن أعماقنا تحتوى على «ضد الروح» الذى دائماً يشتهى ضد الروح ويسعى ضد الروح ويصارع ضد الروح !! يقول الرسول : «لأن الجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون » (غل ٥ : ١٧)

وغنى عن البيان أن الرسول يقصد بكلمة «الجسد» هنا جسد الخطية وليس الجسد المادى ، وقد شرحنا هذا باستفاضة في المرة الماضية ، كما أن كلمة «الروح» في الآية السابقة تعنى ــ بحسب الأصل ـ الروح القدس وليس الروح الإنسانية كما قد يعتقد البعض ، فهذا الكيان الساقط لا يحارب أرواحنا بقدر ما يحارب سلطان الروح القدس على حياتنا ، أنه يريد أن يكون القائد الوحيد لحياتنا والمتسلّط الأوحد على رغباتنا ، لذلك فهو ينزعج للغاية عندما يبدأ المؤمن يخضع لمشيئة الروح فلا يتمّم شهوة الجسد ، وعندئذ تنشب معركة داخل المؤمن بين هذا الكيان وبين الروح المبارك ، معركة على مناطق النفوذ والسلطة داخل النفس الإنسانية ، معركة قد لا يدرى المؤمن نفسه أبعادها وأعماقها ، لكنه بالتأكيد يشعر بأحداثها ويساهم في حسمها ويحصد نتائجها !!

إرادة مضادة

إذا كان الروح يريد أن يقود حياتنا إلى شركة عميقة مع الله فإرادة الإنسان العتيق داخلنا هي التجنُّب والابتعاد عن حياة الله (أف ٤ : ١٨) إذا حاول الروح أن يجتذبك إلى مخدع الصلاة تجد قوة أخرى داخلك تجذبك بعنف للخروج من المخدع والجلوس أمام التليفزيون أو إضاعة وقتك بأى

شكل آخر !! وإذا أراد الروح المبارك أن يشرح لنا فكر إلهنا ويغرسه في أعماقنا نجد هذا الكيان الأثيم لا يقبل ولا يفهم ولا يريد أن يفهم ما لله ويعتبره جهالة (١ كو ٢ : ١٤) (رو ٣ : ١١) ، إنه يفهم جيداً القصص الفارغة والنكت البذيئة ويتتبّع بشغف أخبار الساسة والفنانين والمال والاقتصاد ويهتم حتى بالفلك والأبراج ولكنه أمام أمور الله يصاب بالعَتَه والبلادة والجمود !! وإذا كان الروح يعلّمنا كيف نحب الآخرين ونصنع سلاماً بينهم فالحيّة الساكنة فينا تسعى لبث السم في كل مَن حولها وتسعى بأرجل سريعة إلى سفك الدم ونشر المرارة في وسط الجماعة (عب ١٢ : ١٥) .

مَن منا لم يشعر بهذا الصراع الداخلى المحتدم ؟ مَن منا لم يعانِ من وجود كيانين مختلفين في أعماقه ؟ كيانان على طرفي النقيض في كل شيء ، إنسانان يتصارعان على إرادتنا في كل تفاصيل الحياة ، أحدهما هو الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور والآخر هو الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق (أف ٤:٢٤) الإنسان العتيق يتقوَّى بإبليس والعالم الشرير المحيط بنا والإنسان الجديد يتقوَّى بالروح المبارك الساكن فينا ، مَن يحسم هذا الصراع يا تُرى ؟

الإرادة الإنسانية

لا يظن أحد أن الصراع بين الإنسان العتيق والروح القدوس يحسمه أيهما أقوى، حاشا ، فروح الله دائماً أقوى وأعظم من أن يُوضع في مقارنة مع طبيعتنا المائتة الترابية، لكن مَن يحسم الصراع داخلنا هى إرادتنا نحن !! في أي اتجاه ستختار إرادتنا أن تسير ، مع أى قوة ستتعاطف ؟! لقد خلق الله الإنسان حراً في اختياره ، دائما يضع أمامه الحياة والموت ويترك لإرادته حرية الاختيار بينهما (تث ٣٠ : ١٩) الله لا يطلب منا أن ننتصر على الإنسان العتيق الذى بداخلنا لأنه أقوى منا ولأن هذه هى مهمة الروح المبارك ، لكنه يطلب منا أن ننحاز للروح ونخضع له في صراعه مع هذا الكيان الأثيم ، الروح يمكنه أن يعين ضعفنا لكن لا يمكنه أن يفرض إرادته علينا !! وللحديث بقية .

قلنا إن الروح يُعين ضعفنا في مواجهة الإنسان العتيق الموجود في داخلنا ، هذا الكيان الذى يشبه الحية في خداعها وتلوّنها ، وهو يسرى في أعضائنا بقوانينه وناموسه ويستغل احتياجات وشهوات أجسادنا المادية ، كما أنه يضاد الروح القدس في كل دوافعه وأعماله.

واليوم نسأل : كيف يعيننا الروح في مواجهة هذا الكيان الساقط ؟ هل يحاول أن يُصلِح هذا الكيان ؟ هل يجيزه في تدريبات لأجل تهذيبه وتعليمه ؟ هل علاج هذا الكيان في مزيد من الاستنارة والفهم ؟ قد يظن البعض هذا ويقضون حياتهم ينتظرون يوماً يجدون في أعماقهم شيئاً أفضل ، لكن للأسف هذا اليوم لن يأتى أبداً !! لأن كلمة الله تخبرنا بحقيقة مؤلمة ألا وهى أن هذا الكيان غير قابل للاصلاح.

و المسيحية تقدم لنا الحق كما يراه الله سواء كان هذا الحق مقبولاً من الإنسان أم لا ، مؤسسّها له المجد هو النور الحقيقى الذى أتى إلى العالم لكى ينير كل إنسان ، وكتابها المقدس مثل المرآة الصادقة التى تكشف لنا عيوبنا بدون استئذان !! إنها لا تستمد وجودها وقوتها من الإنسان لذلك هى لا تجامله أو تهادنه بل تكشف حقيقته أمام عينيه.

والحق الذى يعلنه الله لنا في الكتاب المقدس هو أن هذا الكيان الذى في داخلنا ليس فقط شريراً بل غير قابل للإصلاح ، يطلق عليه عدة أوصاف تعطينا هذا المعنى : فهو «فاسد» (أف ٤: ٢٢) أى أنه تخطَّى مرحلة العطب الجزئى القابل للعلاج إلى مرحلة الفساد النهائى ، وهو أيضاً «لا يقبل ما لروح الله» (١كو٢: ١٤) فكيف يتعامل مع الله ؟ وهو «لا يفهم» (رو٣: ١١) فكيف يمكن أن يتعلَّم ويتهذَّب ؟ بل هو «مائت » (رو٦: ١٢) وهل يمكن أن ننتظر تحسناً أو تغييراً يطرأ على الميت !!

كيف نتعامل معه ؟

يعلّمنا الكتاب المقدس أن الله لا يتعامل مع هذا الكيان إلا بالموت !! عندما اختار شخص الرب يسوع أن يكون بديلاً عنا أمام الله صدر عليه حكم الموت ، لو كان هناك أمل في إصلاحنا لكان حكم الموت ليس ضرورياً أو منطقياً ، لكن بصدور هذا الحكم على الابن الحبيب دون شفقة يؤكد أن الله لا يقبل التعامل بعد مع هذا الكيان الفاسد المُضاد لله، وهذا ما عبَّر عنه الرسول قائلاً:«عالمين

هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليُبطَل جسد الخطية» (رو٦: ٦) أى أنه بصدور حكم الصلب على ربنا المبارك كان ذات الحكم يصدر على إنساننا العتيق ، وعندما نرى ربنا المعبود مُعلَّقاً تحت القصاص واللعنة ندرك أن هذا هو قضاء الله على كياننا الأثيم ، هذا الكيان ينبغى أن «يُبطَل» أى لا تعود له السيطرة على حياتنا ، وعندئذ لابد أن يكون قرارنا :«مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ» (غل٢: ٢٠)

نفس المعنى نجده في قول الرسول : «إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون» (رو٨: ١٣) أى أن أعمال الجسد ليس لها حكم أمام الله سوى الموت ، لا يمكن إصلاح أعمال الجسد أو تهذيبها أو تدريبها بل فقط موتها ، هل وصل هذا الحق بكماله إلى أعماقنا ؟ هل أدركناه ونعيش في نوره ؟

... كلا للأسف !!

هذا الحق الكتابى لا يلقى قبولاً من الكثيرين أو على الأقل لا نصدقه كل التصديق !! فالإنسان يحب أن يظن الخير في نفسه ويفتخر بصلاحه ، وحتى بعد الإيمان يظل المؤمن لا يفهم هذا الحق تماماً ولا يدرك مدى الفساد الذى بداخله بل ويهرب من محاولات الرب لفضح هذا الكيان الفاسد ، يبقى لسان حالنا كما قال أيوب: «حتى أسلم الروح لا أعزل كمالى عنى ، تمسَّكت ببرى ولا أرخيه» (أى ٢٧: ٥،٦) وتكون النتيجة هى أننا نعيش محرومين من رضا الله وتأييده لحياتنا لأن كل الذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله (رو٨:٨) وتظل أعمالنا خليطاً من بعض أعمال الروح وكثير من أعمال الجسد ، والله لا يمكن أن يبارك مثل هذا الخليط غير المتجانس!! ونظل غير قادرين على الانكسار الحقيقى أمام الله أو التواضع تحت يده القوية لأن هذا الكيان الفاسد في داخلنا متشامخ بطبعه ولا يحب الخضوع لله بل لا يستطيع (رو٨: ٧) !! وللحديث بقية.

قلنا إن الله لا يتعامل مع الكيان العتيق الساكن بداخلنا إلا بالموت ، لأن هذا الكيان غير قابل للتعليم أو التدريب أو التغيير ، واليوم نختتم حديثنا ببعض الملاحظات الهامة ، أولها أن موت أو صلب هذا الكيان له جانبان :

شرعى وعملى

عندما يتكلم الكتاب عن هذا الموت بصيغة الماضى باعتباره عملاً قد تمّ بالفعل فهو يتكلم عنه شرعياً أمام الله ، فكما قلنا أن الله أصدر حكم الموت على هذا الكيان يوم أصدر حكم الموت على البديل ، ربنا يسوع المسيح ، صليب المسيح قد وضع هذا الكيان الأثيم في حكم الموت أمام الله مرة واحدة و إلى الأبد ، وعلى هذا الأساس يقبلنا الله ويتعامل معنا كأناس تمّ فيهم حكم الموت شرعاً !!

أما عندما يتكلم الكتاب عن هذا الموت باعتباره عملاً حاضراً ينبغى أن يتم كل يوم فهو يتكلم من وجهة النظر العملية ، فالحكم الشرعى الذى تم تنفيذه في شخص البديل لابد أن تظهر آثاره عملياً في حياتنا ، وموقف الله من هذا الكيان شرعاً لابد أن يكون هو نفسه موقفنا العملى اليومى ، إذا كنا قد قبلنا موت المسيح كنائب عنا فنحن إذاً قبلنا ضمنياً موت إنساننا العتيق معه ، لذلك لا ينبغى أن ندعه يحيا فينا بعد أو يمارس سلطانه على حياتنا .

والرسول يجمع الجانبين معاً في عدة مواضع ، مثل قوله : «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه (شرعاً) ليُبطل جسد الخطية كى لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية (عملياً) » (رو٦: ٦) وهذا يقودنا بالضرورة إلى الملاحظة الثانية ألا وهى :

الموت لا يعنى التلاشى !!

أحياناً نظن بالخطأ أن «موت» الإنسان العتيق يعنى عدم وجوده، ولعل هذا الظن يرجع لمفهوم الموت في حياتنا العملية، فعندما نقول عن شخص ما أنه مات فهذا يعنى أنه لم يعد موجوداً بيننا ، لكن الأمر ليس هكذا في موضوع الإنسان العتيق!! فالكتاب لا يُعلّمنا أن صلب الإنسان العتيق مع المسيح يعنى أنه لم يعد موجوداً اليوم في حياتنا العملية ، ولا يُعلّمنا أن إماتته عملياً في أرض الواقع ستصل إلى حد أنه لا يعد موجوداً ، فالموت لا يعنى في كلمة اللّه التلاشى ، ولن يأتى يوم لا نشعر بوجود هذا الكيان بداخلنا ، فهذا الكيان باقٍ حتى نتحرر منه بالخروج من الجسد والاستيطان عند الرب ، إذاً ما معنى موت هذا الكيان؟

الموت هنا يعنى فقدان السلطان على حياتنا ، لا تصبح لهذا الكيان فيما بعد القدرة على تسيير أمورنا والتحكّم فيها ، تصير أفكاره ومواقفه وأعماله مرفوضة منا وغير مُطاعة، إنه موجود ولكنه غير مؤثّر ، يشبه الملك الذى كان يوماً مسيطراً على الحياة لكنه أُنزل عن عرشه ووُضِع في سجن وأغلال لأن الحياة صارت لملك آخر !! هذا هو معنى كلمة «يُبطل» في (رو٦:٦) أى لا تعود له القدرة أو السلطان ، إن الروح يُميت فينا «أعمال» الجسد وليس الجسد نفسه ، الروح يعتقنا من «ناموس» (أى سلطان) الخطية والموت ولكنه لا ينزع منا الكيان القابل للخطأ !! وهذا يقودنا للملاحظة الثالثة :

مسئولية مشتركة

مسئولية وضع الإنسان العتيق في حكم الموت تقع عملياً على كل من المؤمن وشخص الروح القدس ، مسئولية الروح هى القوة والسلطان ومسئولية المؤمن هى الإرادة والاختيار ، فالمؤمن لا يستطيع بقواه أن ينتصر على جسد الخطية والله لا ينتظر منه هذا ، الروح فقط هو المسئول عن مقاومة هذا الجسد (غل ٥ : ١٧) فناموس الخطية والموت لا يستطيع أن يعادله وينتصر عليه إلا ناموس آخر هو ناموس روح الحياة (رو٨: ٢) الروح وحده هو الذى يُميت أعمال الجسد (رو٨: ١٣) هذه هى تعزية ومعونة الروح لنا في معركتنا مع الإنسان العتيق .

لكن المؤمن يشارك في المسئولية بإرادته واختياره ، فالروح لن يستطيع أن يُميت أعمال الجسد إذا كنا نحن نقبلها ونتعاطف معها ، لو لم يقتنع المؤمن تماماً أن كيانه العتيق مرفوض من الله ويشترك مع الله في هذا الرفض ، ويقبل ويخضع لسلطان الروح داخله وهو يقاوم الجسد فلن يستطيع الروح أن يفعل شيئاً !! بدون معونة الروح لن يستطيع الإنسان التحرر من جسد الخطية ، وبدون إرادة الإنسان لن يستطيع الروح أن يحرره!!

لو كنا لا نزال نعانى من هذا الكيان الساقط فالقصور بكل تأكيد ليس من جانب الروح بل من جانب إرادتنا المنقسمة التى تعرج بين الفرقتين!! مازلنا غير مقتنعين بفسادنا ومازلنا متعاطفين مع ذواتنا ، ليت الله يقنعنا بأنه لا يسكن فينا شيء صالح حتى نرفض ونندم في التراب والرماد ونخضع برضا وسرور لمعاملات الروح معنا ، تاركين له الفرصة الكاملة حتى يعطينا الغلبة على هذا الكيان الأثيم ، إنه الروح المعزى الذى أتى لكى يعين ضعفنا ويصنع منا أناساً بحسب مشيئة الله ، له كل المجد (يتبع)

بعد أن تتبَّعنا الصور الرمزية لشخص الروح القدس في الكتاب المقدس ورأينا صورة «الحمامة» التى تحدثنا عن روح الوداعة ، و راقبنا بخشوع صورة «النار» التى تشير إلى روح القداسة والتطهير ، وسمعنا صوت «الريح» التى تخبرنا عن الروح الخفى الذى لا يمكن وضعه تحت المراقبة أو التوقع ، ووقفنا أمام ينبوع «المياه» الحية الذى يرمز إلى روح الشبع والحياة ، وشممنا الرائحة العطرة لـ «زيت» المسحة المقدس الذى أشار إلى روح الخدمة والعمل ، وتذوقنا «الخمر» الجيدة التى تشرح لنا تعزية الروح ومعونته لحياتنا ، حان الوقت الآن لنتقدم إلى آخر أسفار الكتاب لنرى آخر الصور الرمزية التى دُونت في كلمة الله ، الصورة التى اقتبسنا منها عنوان هذه السلسلة من المقالات ، وهى في الواقع صورة مزدوجة وإن كانت تشير إلى معنى واحد ، ألا وهى صورة :

المصباح المنير والعين الثاقبة!!

«وأمام العرش سبعة مصابيح نار متَّقدة هي سبعة أرواح الله» (رؤ٤: ٥)

«ورأيت ...خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبع أعين هى سبعة أرواح الله المُرسلة إلى كل الأرض « (رؤ٥: ٦)

والواقع أن هاتان الصورتان ــ المصباح المتقد بنار والعين ــ تتحدان في أكثر من موضع مما يؤكد أنهما صورة واحدة مزدوجة تشير إلى معنى واحد :

«هذا يقوله ابن الله الذى له عينان كلهيب نار ...فرس أبيض والجالس عليه يُدعى أميناً وصادقاً وعيناه كلهيب نار ... وعيناه كمصباحى نار» (رؤ٢: ١٨، ١٩: ١٢، دا ١٠ : ٦)

والجدير بالملاحظة هنا أن النار في هذه الأجزاء ليست نار الفرن التى تمتحن وتطهّر التى تكلمنا عنها من قبل ، بل هى النار التى كانت تُستخدم لإنارة المصابيح والسُرج قديماً ، النار التى تنير الظلمة وتكشف المستور لكى تستطيع العين أن ترى حقيقة الأشياء بوضوح !! العين تستطيع أن تبصر الأشياء الموجودة في النور ، أما الأشياء الموجودة في الظلمة فالمصباح ينيرها لكى تستطيع العين أن تراها أيضاً ، إذاً فالعين والمصباح هما وسيلة الإنسان لإدراك حقيقة الأشياء المحيطة به ، الأشياء الموجودة في النور وأيضاً تلك الموجودة في الظلام ، أى أن صورة المصباح المتقد والعين تريد أن تخبرنا عن الروح القدس باعتباره

روح الحق

أحد الأسماء التى أطلقها رب المجد على الروح القدس هو «روح الحق» (يو ٢٦ :١٥، ١٦: ١٣) أى انه الروح الذى يدرك حقيقة كل الأشياء ، لا شىء يخفى عن عينيه ، كل شىء عريان ومكشوف أمامه ، حتى الظلمة لا تظلم لديه ، كالظلمة هكذا النور ، مهما اكتنفت الظلمة حياتى فروح «المصباح» يضىء سراجى و ينير ظلمتى (مز ١٨: ٢٨) لو قلتُ الظلمة تغشانى أجد الليل مثل النهار يضىء (مز ١٣٩: ١١،١٢)

دائرة معرفته لا حدود لها ، فهو يعرف «جميع الحق» (يو ١٦: ١٣) ويستطيع أن يعلّمنا «كل شىء « (يو ١٤: ٢٦) و«كل شىء» هذه تعنى :

كل شىء في الأرض

عيناه تجولان في كل الأرض وتراقبان كل الأمم (٢ أى ١٦:٩ ، مز ٦٦:٧) عيناه مفتوحتان على كل طرق بنى آدم ليعطى كل واحد حسب طرقه (إر٣٢: ١٩) إنه يعرف جلوسى وقيامى ، يفهم أفكارى المختفية بداخل عقلى ، يعرف دوافعى إذا سلكت ويدرك أهدافى إذا ربضت ، يعرف كل كلمة في لساني قبل أن أنطق بها ، بل أن تلك العينين المباركتين قد رأتا كل أعضائى وعدَّتا عظامى قبل أن ترانى عينى أمى، أين أذهب إذاً من هذا الروح المبارك ؟ أنه يحاصرنى من خلف ومن قدام (مز١٣٩) إنه يعرف كل الحق عن كل ما في الأرض..

.. وفي السماء أيضاً !!

يقول الكتاب : «لأن الروح يفحص كل شىء حتى أعماق الله» (١كو ٢: ١٠) أى أن روح «العين» يرى كل ما يدور في قلب إلهنا المبارك، يعرف كل ما يجول في فكره ومقاصده ، فهو موجود دائماً «أمام العرش» (رؤ٤: ٥) وفي ذات الوقت هو مُرسل إلى «كل الأرض» (رؤ٥: ٦) أى أن دائرة علمه تمتد من عرش الله نفسه إلى أطراف الأرض، من أعماق الله وحتى أعماق الإنسان ، من أعماق النور الذى لا يُدنى منه في السماويات إلى أعماق الظلمة الحالكة في أقسام الأرض السفلى !! وللحديث بقية .

قلنا إن الصورة الأخيرة للروح القدس هى صورة «العين والمصباح» والتى تشير إلى «روح الحق» الذى يزيل الظلام ويكشف حقائق الأشياء ، ومَنْ منا يستطيع أن يستغنى عن عمل العين والمصباح ؟! من منا يستطيع أن يسير في الظلام ؟! إننا نحتاج لروح العين والمصباح لعدة أسباب :

أولاً : لكى لا نعثر !!

قال رب المجد : «إن كان أحد يمشى في النهار لا يعثر لأنه ينظر نور هذا العالم ، ولكن إن كان أحد يمشى في الليل يعثر لأن النور ليس فيه « (يو ١١: ٩،١٠) الإنسان يعثر حينما تصطدم رجلاه بشىء لم يكن يراه أو يتوقعه ، وكم من أشياء كثيرة في العالم الروحى لا نراها و لا نتوقعها ، أشياء في أعماقنا وأخرى محيطة بنا ، أشياء نابعة من الإنسان وأخرى من الشيطان وثالثة من الله ، ولو سار الإنسان بدون نور المصباح في وسط هذه الأشياء فلابد أن يعثر ويسقط .

النهار ...والليل !!

النهار هو الوقت الذى كان فيه رب المجد على أرضنا يسير ، كان هو النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان وكل من سار معه كان يسير « في النهار » ولا يمكن أن يعثر ، ولكن بعد رحيل الرب عن عالمنا وحلول الظلام أصبحنا نسير «في الليل» حيث لا يجب أن نتوقع نوراً من خارجنا بل لابد أن نحمل النور داخلنا ، في النهار كانت الشمس تشرق حولنا و تسير بيننا وتنير سبيلنا ، أما في الليل فينبغى أن نأخذ مصابيحنا ونخرج للقاء العريس ، تلك المصابيح التى لا تُضاء إلا بزيت الروح القدس الساكن فينا ، أى أن مصدر النور أثناء الليل ينبغى أن ينبع من داخلنا ، من روح «المصباح والعين» العامل فينا ، أما من يسير وليس «فيه» النور فلابد أن يعثر، والعثرة قد تأتى من عدة اتجاهات :

من أعماقنا !!

إننا نجهل الكثير مما يدور في أعماقنا ، لا نعرف حقيقة أنفسنا كما يراها الله ، نعتقد في أنفسنا ما ليس بحقيقى ونجهل عنها الكثير مما هو حقيقى ، لذلك نحن نحتاج لروح المصباح والعين الذى يكشف لنا حقيقة أنفسنا ، أما إذا سرنا بدون نور المصباح في داخلنا فقد نُفاجأ بما لم نكن نتوقعه من أنفسنا فنعثر ونسقط !!

كان بطرس يعتقد في نفسه ما ليس حقيقياً ، كان يظن أنه يحب الرب حتى إلى الموت بينما الحقيقة التى كان يجهلها أنه يحب نفسه أكثر من أى شيء آخر ، وجهله بنفسه كان سبب عثرته وسقوطه!! لو كان يرى أعماقه ويعرفها لتوقع غدرها وتجنَّب شرها وسعى لإصلاحها ووضعها بين يدى الرب بانكسار وتوبة ، لكن للأسف عندما واجهه الرب بحقيقة نفسه نراه يرفض النور الذى يكشف أعماقه ويتمسك بفكره عن نفسه (مت ٢٦: ٣٤، ٣٥) ومن يرفض النور لابد أن يعثر ويسقط سقوطاً عظيماً بقدر ما كان اعتقاده عن نفسه عظيماً!!

طوبى للإنسان الذى يعرف حقيقة نفسه !! فلا يحملّها مالا تطيق ولا ينتظر منها ما لا تستطيع ، لا يعطيها كرامة لا تستحقها ولا ينتفخ على الآخرين ، يكون الاتضاع سهلاً بالنسبة له ويجد طريقه ببساطة إلى أقدام الرب، يتعلم بسهولة ولا يحتاج إلى ضربات مُوجعة أو سقطات عنيفة حتى يتعلم .

و من الآخرين !!

عدم رؤيتنا الصحيحة للمحيطين بنا تسبب لنا الكثير من العثرة ، فعادة ما نكوّن فكرنا عن الناس بما يظهر منهم أما حقيقة باطنهم فتبقى مجهولة لنا ، نرسم لهم صورة بحسب كلامهم ثم نصطدم فجأة بما لم نكن نتوقعه منهم فنهتز ونفقد توازننا ونسقط ، نشعر بالأمان والحرية ثم نكتشف أننا مكبَّلون بقيود وأغلال ، نعقد صداقة مع مَنْ نظن أنه ملاك ونُفاجأ بأنه شيطان ، نطمئن للشركة مع خروف ثم نراه ذئباً ، والمأساة هى أننا عادة لا نرى الحقيقة إلا بعد الكثير من الخسائر والجروح !!

كم من مرة أسلمنا أنفسنا لقائد ثم اكتشفنا أنه أعمى مثلنا ، لكننا لا نكتشف هذه الحقيقة إلا بعد ان نقع سوياً في الحفرة !! وكم من مرة ألقينا رجاءنا على قوى ثم عرفنا أنه ضعيف مثلنا ، لكننا لم نعرف هذا إلا بعد أن سقطنا سوياً !!

كم من أشراك وفخاخ تحيط بنا من كل جانب ، بعضها بسوء نية من الآخرين وبعضها بسوء تقدير منا ، عدم رؤيتنا لحقيقة الناس والأشياء المحيطة بنا لابد أن تؤدى بنا إلى السقوط في هذه الأشراك ، أما إذا أسلمنا أنفسنا لقيادة روح الحق الذى يخبرنا بكل شيء وينير أمامنا الطريق فلن نعثر لأن النور «فينا »!! كم من «مؤمنين» أحاطوا بالرب لكنه لم يستأمنهم على نفسه ، لماذا ؟ لأنه كان يعلم ما في داخل الإنسان (يو٢: ٢٤،٢٥) كم نحتاج إلى مثل هذه المعرفة لكى نتجنب الكثير من العثرات ، وللحديث بقية.

قلنا إن صورة المصباح والعين تشير إلى روح الحق الذى ينير أمامنا حقائق الأشياء ويفتح عيوننا لنراها ، ونحن نحتاج لرؤية حقيقة الأشياء لعدة أسباب أولها لكى نتجنب العثرة ، فإذا كنا نسير ولا نرى أمامنا فلابد أن نعثر ، وقد تأتى العثرة من داخلنا إذا فوجئنا بما لا نتوقعه من أنفسنا ، وقد تأتى من الآخرين إذا اكتشفنا فيهم ما لم نتحذر منه ، واليوم نضيف أن العثرة قد تأتى أيضاً

من إبليس

كل قوة إبليس مستمدة من عدم رؤية الإنسان لمكايده وفخاخه وجهله بأفكاره ، إن مملكة الشر بأكملها تسود على «ظلمة هذا الدهر» (أف ٦ :١٢) بل إن سلطانها يُسمَّى «سلطان الظلمة» (لو٢٢: ٥٣ ، كو١: ١٣) إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين وأغرقهم في ظلمات روحية كثيفة لكى يسهل اقتناصهم في فخاخه وحبائله .

منذ أن سقط الإنسان في فخ إبليس الأول في جنة عدن أصبح عاجزاً عن تمييز أعماله والنجاة منها ، انفصاله عن الله أدخله إلى الظلمة لأن الله هو النور الذى لا ظلمة فيه البتة (١يو١: ٥) الرب الله هو «شمس ومجنّ» (مز٨٤: ١١) أى أنه النور والحماية ، فالنور هو الحماية الحقيقية من السقوط في فخاخ الظلمة ، فباطلاً تنصب الشبكة في عينى كل ذى جناح ، لكن بالانفصال عن الله صار الإنسان بلا نور أو حماية، أصبح يجلس في الظلمة وظلال الموت .

إن كل قدرات الإنسان الطبيعية لا تستطيع أن تحل محل نور الله ، فإبليس أكثر حكمة من أحكم إنسان ، إنه «ملآن حكمة» (حز ٢٨: ١٢) لذلك فكل حكمة الإنسان وتمييزه وفطنته وخبرته لا تستطيع أن تنير له أعمال إبليس وتحميه من مكايده ، فليس من قدرات الإنسان الطبيعية أن يرى في الظلام !! صار الإنسان محتاجاً إلى من يفتح عينيه لكى يرجع من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله (أع٢٦: ١٨)

الرب نورى وخلاصى

بالنسبة لكل المؤمنين الرب هو «النور» وبالتالى هو «الخلاص» من كل خبايا الظلمة ، من يتبع

الرب لا يمشى في الظلمة بل يكون له نور الحياة ، روح المصباح ينير لنا أفكار العدو و نياته (٢كو٢: ١١) وإذا كنا لا نجهل أفكاره فسنستطيع مقاومته وهزيمته .

الروح ينجينا من «فخ الصياد» (مز٩١: ٢) إنه يعرف كل شيء ويستطيع أن يخبرنا بما يرتبه العدو في الخفاء وما ينصبه لنا من فخاخ ، كما أخبر أليشع بمخططات العدو وأخبر بولس بمكايد اليهود ضده ، لا شيء يخفى عن السبعة العيون المرسلة إلى كل الأرض !!

فلنتعلق بالرب !!

إذا كانت طريقنا تمتلئ بالعثرات سواء من داخل أنفسنا أو من الآخرين أو من إبليس رئيس مملكة الظلمة فكيف نستطيع أن نسير دون أن نعثر ؟ إذا اعتمدنا في سيرنا على رؤيتنا المحدودة وقدراتنا الضعيفة ومعرفتنا السطحية فلابد أن نعثر ونسقط ، فكمية ما نجهله من الأشياء المحيطة أكبر مما نتصور ، ولعل سر ضعف كنيسة اليوم هو تعثّر وسقوط المؤمنين في قيود وفخاخ لم يروها ولم يتوقعوها ، العدو يستغل جهلنا بأفكاره وينصب لنا فخاخه لكى نظل طوال حياتنا ضعافاً مقيدين غير نافعين للسيد .

دعونا إذاً نتعلق بالرب نورنا وخلاصنا ، شمسنا ومجنّنا ، روح المصباح الذى ينير عيوننا فتبصر خفايا الظلمة المحيطة بنا ، الروح الذى يحفظ أنفسنا في الحياة ولا يسلّم أرجلنا إلى الزلل ، لا نسير دون أن نهتدى بنوره ولا نخطو خطوة دون مشورته ، نمتلئ به وبكلمته ليكون لنا نور الحياة فالنور حلو للعينين !! (يتبع).

قلنا إننا نحتاج إلى روح المصباح المبارك لكى ينير الطريق أمامنا لكى لا نعثر ، سواء جاءت العثرة من داخلنا أو من الآخرين أو من إبليس ، فالمؤمن لا يستطيع أن يسير خطوة واحدة في متاهات هذه الحياة بدون أن يكون له نور الحياة ، واليوم نضيف أننا نحتاج إلى روح المصباح لأجل هدف آخر ألا وهو :

معرفة الله وأموره (أف ١: ١٧-٢٣)

الروح لا ينير لنا فقط طريقنا أثناء سيرنا في هذه الأرض لكنه يسمو بنا لينير لنا طريقنا أثناء شركتنا مع إلهنا في السماويات ، لقد صلّى الرسول بولس من أجل المؤمنين في أفسس لكى يعطيهم الله روح الحكمة والإعلان في معرفته حتى تستنير عيون أذهانهم ليعلموا أمور الله العظمى والثمينة الموهوبة لهم ، أى أننا لا نستطيع أن نعرف الله نفسه أو أموره إلا بمعونة روح «الحكمة و الإعلان» الذى هو روح المصباح الذى نتحدث عنه، إنه «ينير» عيون أذهاننا فنرى إلهنا ونعرف مشيئته نحونا وعطاياه الممنوحة لنا في شخص المسيح .

الكثير من المؤمنين تظل شركتهم مع الله مقيَّدة في حدود لا تتخطاها ، ورغم مرور السنين تظل علاقتهم بالرب أسيرة المفاهيم الأولى و المعرفة البدائية التى ابتدأوا بها حياتهم الروحية ، إن معرفتهم لإلههم لا تتعدى معرفة الطفل الصغير لأبيه ، معرفة ساذجة محدودة بالمصالح والاحتياجات ولا ترتقى أبداً لتواصل حقيقى وشركة عميقة وعطاء متبادل ، حياتهم تظل فقيرة وجافة لأن البركات الأولى لم تعد تكفيهم و عيونهم مغلقة عن البركات العميقة التى ينبغى السعى لامتلاكها ، والسبب هو عدم إعطاء روح الحكمة والإعلان الفرصة لكى ينير عيون أذهانهم و يفتح الآفاق الروحية الرحيبة أمامهم .

الله لم يره أحد قط

معرفة الله لم تكن متاحة للإنسان قديماً ، فبعد السقوط فقد الإنسان فرصة التقدم في معرفة الله ، وصارت الخطية فاصلة بيننا وبين إلهنا حتى لا نراه ولا نعرفه ، الفساد الذى أصاب طبيعتنا خلق فجوة لا يمكن عبورها بيننا وبين الطبيعة الإلهية ، وظل الحال هكذا حتى جاء الابن الوحيد الذى هو في حضن الآب وخبَّر ، لم يكن الخبر بالكلام فقط لكن أيضاً بالتجسد !! لقد «ظهر» الله

في الجسد ، أعلن لنا ذاته في شخص المسيح ، وهذا الإعلان لم يكن ممكناً إلا لأن الرب قدم نفسه ذبيحة لكى يرفع الخطية الفاصلة بيننا وبين إلهنا ، لو لم تنلْ العدالة الإلهية حقها ما كان ممكناً أن يعلن الله ذاته لنا .

دور روح الإعلان

لقد أعلن الرب يسوع المسيح إعلاناً كاملاً عن الله في قلب التاريخ البشرى ، عندما جاء له المجد في ملء الزمان وجال بين الناس كان يحمل في داخله صورة الله غير المنظور ورسم جوهره ، لكن هذا لا يكفى وحده لكى نعرف نحن الله !! لكى ينتقل هذا الإعلان إلى أعماقنا و تنفتح عيوننا فتراه وتعرفه نحن نحتاج إلى روح «الحكمة والإعلان»!! روح الله يهيئ للإعلان مكاناً بداخلنا ثم ينقل هذا الإعلان ليصبح حقيقة في أعماقنا ، يطهرنا من أفكارنا القديمة ثم يزرع أفكار الله ، يغسلنا من رؤيتنا القديمة لله ثم يعطينا الرؤية السليمة لجلاله ، ينتزع من ثنايا مشاعرنا الأحاسيس الجسدية التى تقيس كل شىء بمقياس الجسد ويغرس مشاعر مقدسة تعرف كيف تقيس الأشياء بمقياس الله .

لا معرفة حقيقية بدون إعلان

أي أنه لا يكفى أن نعرف أقوال الرب يسوع أو ندرس حياته لكي نعرف الله ، المعرفة الذهنية لأقوال وحياة الرب لا تغرس معرفة روحية في الأعماق ولا تغيّر الحياة ، الإعلان الذى أتى به الرب لم يكن فكراً جديداً عن الله حتى نستقبله بأذهاننا بل كان «روحاً وحياة» لذلك لا نستطيع استقباله إلا بالروح القدس. كثيرون في أيامنا لديهم معرفة ذهنية كبيرة لأقوال الكتاب لكن حياتهم منطفئة وشركتهم مع الله منعدمة ، أقوالهم رائعة لكن سلوكهم معيبٌ !! وهؤلاء يسببون العثرة للبسطاء الذين تخدعهم الكلمات وتؤثر فيهم المظاهر، لكن المؤمن الناضج يعلم أن معرفة الكلمات شىء وقبول الإعلان شىء آخر ، إننا لا نستطيع أن نستغنى عن عمل روح الإعلان لكى يحوّل حياة الرب وكلماته التى قالها منذ ألفى عام إلى قوة تسرى في أعماقنا واستنارة تضىء أعيننا و حياة تفيض في كياننا وعمق جديد في معرفتنا لله وشركتنا معه ، حتى التلاميذ الذين اقتربوا من الرب بالجسد وعاشوا معه وسمعوا الكلام من فمه مباشرة لم يتحول هذا الكلام إلى إعلان حى في حياتهم إلا بعد حلول روح الإعلان في داخلهم يوم الخمسين ، فتحول خوفهم إلى قوة وحزنهم إلى فرح وانطفاء شهادتهم إلى لمعان ، وللحديث بقية .

قلنا إن اللّه لم يره أحد قط ولا نستطيع أن نعرفه إلا بمعونة «روح الحكمة والإعلان» (أف ١ :١٨) روح العين والمصباح المبارك الذى يعلن لنا أمور اللّه وطبيعته حتى نستطيع التعامل مع إلهنا والدخول في شركة حقيقية معه، ولقد استخدم الرب نفس كلمة «إعلان» بخصوص معرفة اللّه عندما قال «لا أحد يعرف الآب إلا الابن ومَنْ أراد الابن أن يعلن له» (مت ١١ :٢٧) لكن دعونا نتساءل:

ما معنى الإعلان ؟

الإعلان هو المعرفة التى تأتى إلينا من مصدر أعلى منا وليس نتيجة قدرة في أذهاننا، أحياناً يأتى كلمعان البرق المفاجىء يبرق في أذهاننا علي غير توقع أو انتظار، وأحياناً أخرى يكون تدريجياً كأشعة الفجر التى تشرق وتزداد وتتسلل برفق إلى داخلنا مصحوبة بفهم عميق ومريح للنفس، لكنه في كل الأحوال استنارة تضىء أعماقنا فنرى أموراً ما كنا نستطيع أن نراها بأنفسنا، استنارة ذات سلطان على حياتنا تغيّر سلوكنا ومنهجنا في الحياة، استنارة تعطى لعلاقتنا باللّه بُعداً جديداً وعميقاً، وفي كل الأحوال يدرك الإنسان أن لا يد له في هذا الإعلان المبارك، وأنه لو بذل أقصى مجهود في ذهنه ما استطاع أن يفهم هذا الفهم، إنه نعمة خالصة وهبة إلهية ثمينة!!

لماذا الإعلان ؟

إننا نحتاج لروح الحكمة والإعلان في معرفة اللّه لأن ذهننا البشرى المحدود لا يمكنه أن يدرك اللّه أو يفهم أموره بشكل كامل من تلقاء نفسه، الذهن البشرى المخلوق قادر على فهم أمور الخليقة التى على نفس مستواه أو أقل منه، وبما أن الإنسان هو تاج خليقة اللّه وأرقى مخلوق على هذه الأرض لذلك فذهنه قادر على فهم أمور هذا العالم المنظور، ولقد استطاع بالفعل أن يدرك الكثير من أمور الخليقة المحيطة به ويسخّرها لخدمته، أما أمور اللّه الخالق فهى أعلى من مستوى الذهن البشرى المخلوق ولذلك لا يستطيع فهمها بنفسه، يقول الكتاب: «ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء، لأن مَنْ عرف فكر الرب أو صار له مشيراً؟» (رو ١١ :٣٣، ٣٤) والمرنم أدرك هذه الحقيقة قديماً فأنشد: «عجيبة هذه المعرفة! فوقى ارتفعت، لا أستطيعها!! عجيبة هى أعمالك ونفسى تعرف ذلك يقيناً» (مز ١٣٩ :٦، ١٤).

حدود المعرفة الذهنية

المعرفة الذهنية محدودة بأرض الواقع المنظور، فالذهن البشرى يستطيع أن يتأمل في عظمة أعمال اللّه بعدما تتحقق في هذا العالم المنظور، يستطيع أن يمعن فيها التفكير بعدما تصبح جزءاً

من نسيج الواقع الإنسانى، يستطيع أن يحفظ كلمات اللّه التى قيلت قديماً بعدما دُونت من خلال عقول وأيدى إنسانية، يستطيع إذا تأمل في روعة الخليقة أن يستنتج عظمة قدرة اللّه السرمدية ولاهوته (رو ١ : ٢٠) وإذا تأمل في أعمال اللّه في تاريخ الشعوب السابقة يفهم عظمته ويهتف بمجده (مز ٦٦) وإذا جاءه خبر ما فعله الرب بالأشرار قديماً يجزع ويخاف (حب ٣:٢) لكن هذه المعرفة ستبقى معرفة ذهنية ناقصة ومتأخرة:

* ذهنية أى أنها وحدها وبدون عمل روح الإعلان لا تستطيع أن تقود الإنسان إلى معرفة روحية حقيقية باللّه، والدليل هو ملايين النفوس التى ترى روعة الخليقة كل يوم ولا تُمجّد اللّه، وآلاف النفوس التى تعرف قصص التاريخ المقدس ومع ذلك لا تتوب، وآلاف النفوس التى قرأت المكتوب بصورة خاطئة وابتدعت بدعاً وهرطقات مهلكة!! إننا لا نستطيع أن نعتمد على المعرفة الذهنية فقط في فهم المكتوب بل لابد أن تكون مصحوبة بروح الإعلان الذى ينقل المكتوب بمعناه النقى وسلطانه الإلهى إلى أعماقنا.

* كما أنها ناقصة لأننا لا نستطيع دائماً أن نعرف كل صفات اللّه بمجرد رؤية أعماله، فكم من مرة تكون الأعمال غير مُعبّرة عن حقيقة قصد اللّه!! فكم من أعمال تبدو قاسية كان الدافع وراءها هو المحبة، مثل الأحداث التى مر بها يوسف وأيوب، فمَنْ يستطيع وهو يراقب ما كان يحدث معهما أن يتوقع الخير؟ لولا أننا نقرأ قصتهما بعد نهايتها وظهور القصد الإلهى المجيد ما كنا قد فهمنا معاملات اللّه معهما، وهذا ما نقصده بأنها أيضاً معرفة:

* متأخرة أى أن الذهن لا يفهم أحكام اللّه إلا بعد أن تصدر وتُنفذ في أرض الواقع وتصبح ماضياً يمكننا أن نقرأ عنه ونتأمل فيه ونستخلص منه الدروس، أى بعد فوات أوان التجاوب معها والمشاركة فيها. لو كنا لا نمتلك إلا المعرفة الذهنية فلن يفهم مقاصد اللّه تجاه جيلنا إلا الجيل الآتى بعدنا!! أى بعدما يصلهم خبر ما حدث معنا فإنهم يفهمون مقاصد اللّه الصالحة نحونا، لكنى أعتقد أن الوقت حينئذ سيكون متأخراً جداً بالنسبة لنا للاستفادة من هذه المعرفة!! روح الإعلان وحده يستطيع أن يعلن لأعماقنا مقاصد إلهنا وهى بعد في طور التنفيذ ولم تظهر بعد للعيان، وحده يستطيع أن يكشف لنا إرادة اللّه نحونا والفرصة مازالت بعد سانحة للتجاوب معها، ذلك لأنه وحده

يعرف أعماق اللّه

الروح القدس وحده هو الذى يفحص كل شىء حتى أعماق اللّه (١كو ٢ : ١٠) لذلك هو وحده يستطيع أن يدخل بنا إلى تلك الأعماق. إذا كنا نريد شركة حقيقية مع اللّه، إذا كنا نريد أن نفهم مقاصده من نحونا، إذا كنا نشتاق أن نشاركه في تتميم مشيئته في جيلنا، فدعونا إذاً نفسح المجال في أعماقنا لروح الحكمة والإعلان، دعونا لا نكتفى بمعرفة ناقصة في أذهاننا بل نطلب إعلاناً منيراً في أعماقنا يغيّر حياتنا وينقلها لعمق الشركة الحية مع إلهنا، وللحديث بقية.

قلنا إن رمز المصباح والعين يشير إلى شخص الروح القدس في عمله كروح المعرفة والإعلان الذى يكشف وينير كل شيء ولا يخفى عنه شيء وهو الذى نحتاج إليه لكى يكشف أمامنا مواضع العثرة فلا نعثر في طريقنا، سواء أتت العثرة من أنفسنا أو من الآخرين أو من إبليس، كما نحتاج إليه أيضاً لكى يكشف أمامنا أعماق اللّه حتى نستطيع أن نعرف شخصه ونتجاوب مع مشيئته، واليوم نضيف أن هذا الرمز أيضاً يشير إلى عمل الروح باعتبار ما يلى:

مراقب كل الأرض

«ليست خليقة غير ظاهرة قدام إلهنا بل كل شيء عريان ومكشوف لعينى ذاك الذى معه أمرنا» (عب ٤:١٣) اللّه يعرف كل ما يدور في الأرض ويراقب كل تصورات قلوب البشر، والمسئول عن هذه المعرفة هو روح العين المبارك كما نقرأ عنه في (رؤ ٥:٦) «سبع أعين هى سبعة أرواح اللّه المرسلة إلى كل الأرض» وفي (زك ٤:١٠) «إنما هى أعين الرب الجائلة في الأرض كلها» وفي (٢أى ١٦:٩) يقول حنانى الرائى «لأن عينى الرب تجولان في كل الأرض ليتشدد مع الذين قلوبهم كاملة نحوه».

الأسفار !!

روح اللّه يراقب ويفحص قلوب وأفكار البشر ويدوّن كل ما يراه في «أسفار»!! لا يوجد شيء في حياة الناس إلا وهو معروف ومحفوظ أمام اللّه، وقريباً سيأتى يوم الدين الذى تُفتح فيه هذه الأسفار ويُدان البشر مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم (رؤ ٢٠:١٢) مَنْ لم توجد أسماؤهم في «سفر الحياة» سيُدانون بما هو في الأسفار بحسب أعمالهم، والمقصود بأعمالهم ليس فقط الأعمال الخارجية الظاهرة بل أيضاً الكلمات والأفكار السرية التى ظلت حبيسة الأعماق الخفية!! قال عن هذا رب المجد «إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين» (مت ١٢:٣٦) والرسول بولس يؤكد أن الرب في هذا اليوم سيدين «سرائر» الناس أى أفكارهم ورغباتهم التى ظلت سراً في أعماقهم (رؤ ٢:١٦) ويقول حكيم الأجيال «افرح أيها الشاب في حداثتك وليُسرك قلبك في أيام شبابك واسلك في طرق قلبك وبمرأى عينيك واعلم أنه على هذه الأمور كلها يأتى بك اللّه إلى الدينونة، لأن اللّه يُحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفى إن كان خيراً أو شراً» (جا ١١:٩، ١٤). ليت الأشرار يعرفون هذه الحقيقة المرعبة منذ الآن لكى يهربوا إلى المسيح فلا يستطيع أن يمحو ما قد كُتب في «الأسفار» إلا دم المسيح!!

والمؤمنون أيضــاً

المؤمنون أيضاً يحتاجون لمعرفة هذا الحق، فمعرفة اللّه لأعمال البشر وتدوينها ومحاسبتها ليست قاصرة على أعمال الأشرار فقط بل أيضاً المؤمنين، وإن كان الأشرار تُدوّن أعمالهم في «الأسفار» التى ستُفتح أمام العرش الأبيض العظيم فأعمال المؤمنين أيضاً ستُمتحن بنار أمام كرسى المسيح قبيل عشاء العرس العظيم، يقول الرسول «عمل كل واحد سيصير ظاهراً لأن اليوم سيبينه، وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو» (١كو ٣:١٣) وإن كان إظهار أعمال الأشرار هو دليل وصك دينونتهم فإظهار أعمال المؤمنين هو لتحديد مكانهم ومكانتهم في المجد (لو ١٩:١٧) . كل عمل في حياتنا ليس بحسب إرادة إلهنا ستلتهمه النار وسنخسره!!

سبب الضلال

إن سبب أى ضعف أو خطية أو ضلال في حياة المؤمنين هو غياب هذا الحق الثمين عن أذهانهم. عندما يسمح المؤمن بخطية تسكن مخادع نفسه فهو لا يدرك أن الرب يراه، قد يعترف باللسان بهذا الحق لكن يبقى لسان حال أعماقه هو ما قاله شيوخ بيت إسرائيل قديماً «الرب لا يرانا!! الرب قد ترك الأرض» (حز ٨:١٢).

وأصــل القداسة !!

إن هذا الحق الثمين هو أصل لكل قداسة يمكن أن توجد في حياتنا، لو كنا نسير كل أيامنا وبداخلنا يقين أن الرب يراقب أعماقنا فلن نسمح لفكر ردىء أن يتسلل إلى أذهاننا أو تصور قبيح أن يسكن في أعماقنا أو هدف شرير أن يتكوَّن في إرادتنا!! لو عشنا ساعات يومنا في ضوء «كرسى المسيــح» حيث كل شىء يُمتحن بنــار فلن نسمح بالوجود في حياتنا إلا للذهب والفضة والحجــارة الكريمة!!

هذا الحق الثمين كفيل بأن يجعل قداستنا هى قداسة السر وليس فقط العلن، إدراكنا أن روح اللّه يراقب أعماقنا سيجعلنا نهتم بأن تكون أعماقنا مقدسة ومرضية أمامه، وعندما أدرك المرنم قديماً أن الرب يعرف مسلكه ومربضه ويفحص جلوسه وقيامه، بل إنه يعرف الكلمة وهى بعد في لسانه والفكرة وهى بعيدة في أعماقه، كان رد فعله الطبيعى أن يقول «اختبرنى يا اللّه واعرف قلبى، امــتحنى واعــرف أفكارى، وانظر إن كــان فىّ طريق باطل واهدنى طريقــاً أبدياً» (مــز ١٣٩:٢٣).

أحياناً نهتم بالظاهر أكثر من الباطن لأننا نخشى دينونة الناس أكثر من دينونة اللّه!! نهتم بأن نكسى أنفسنا بثياب جميلة يرضى عنها الناس لكى لا يروا قُبح أعماقنا المستترة، وننسى أن كل شىء «عريان» أمام عينى إلهنا!! الناس تنظر إلى العينين أما الرب فينظر إلى القلب، وقلوبنا عريانة أمامه لا يسترها شىء، فدعونا إذاً نهتم بقداسة القلوب (يتبــع).

قلنا إن روح المصباح المبارك ينير لنا مواضع العثرة في طريقنا لكى لا نعثر، وينير لنا أعماق إلهنا لكى ندخل في شركة معه، ويفحص أعماق كل إنسان في كل الأرض ولا يخفى عنه شىء، وأخيراً نقول إنه ينير لنا:

معاملات اللّه في حياتنا

اللّه له مشيئة في حياتنا وهو ينسجها طوال الوقت داخل تفاصيل حياتنا سواء شعرنا بهذا أم لا، هناك خيط ذهبى منسوج بمهارة في وسط خيوط حياتنا المتشابكة، خيط يمتد من بداية أيامنا وحتى نهايتها. إن أمور حياتنا وتفاصيلها الدقيقة وأحداثها التى قد تبدو لنا عشوائية في أحيان كثيرة إنما هى خاضعة لقصد سام وترتيب إلهى دقيق، لكننا للأسف كثيراً ما نخطىء في فهم هذه المعاملات الإلهية بل قد لا نراها أو نلاحظها أبداً!! الذهن البشرى المحدود لا يستطيع بمفرده أن يميز هذه المعاملات، عيوننا الإنسانية القاصرة لا تستطيع أن ترى هذا الخيط الذهبى الممتد بطول حياتنا، فقط عندما يسلط روح المصباح المبارك نوره على حياتنا نستطيع أن نرى هذه المعاملات:

(أ) في الماضى

عندما يسلّط روح الرب نوره على أحداث حياتنا الماضية نبدأ نرى فيها ما لم نكن نراه من قبل، نبدأ نلاحظ السيناريو الإلهى المبارك الذى صاغ تفاصيل حياتنا الماضية، نبدأ ننبهر بمدى الحكمة والدقة التى كانت وراء كل حدث في حياتنا، نبدأ نميّز محبة اللّه ورحمته التى حفظتنا من أخطار كثيرة وفخاخ عديدة لم نكن نراها ولا نقوى على مواجهتها، أشياء كنا نظنها شراً سنراها خيراً عظيماً، وأحداث كنا نحزن لذكراها ستصير مصدراً للفرح والابتهاج، حقاً ما أبعد الفرق بين رؤيتنا البشرية لحياتنا ورؤيتنا لها في ضوء الروح القدس واستنارته!!

اللّه قصد خيراً !!

النظرة البشرية لأحداث حياة يوسف ترى فيها شراً وظلماً فادحاً، التأمل فيها يثير الحيرة والحزن والألم، ولو رأى يوسف حياته الماضية بعينيه الإنسانية لسقط في بئر مظلم من مشاعر الألم والرثاء للنفس بل والغضب والرغبة في الانتقام!! لكنه كان رجلاً يرى الأمور بعينى اللّه، وفي ضوء روح اللّه استطاع أن يرى شيئاً مختلفاً عما تراه العين البشرية، رأى أن إخوته قصدوا شراً لكن خلف الستار كانت هناك يد قديرة تنسج في وسط هذه الأحداث خيراً عظيماً. هذه الرؤية المباركة حفظت سلامه في وسط الأمواج العاتية المتقلبة، وحفظته فوق مشاعر الحقد والانتقام وجعلته يستطيع الغفران لإخوته ويقول لهم قوله المأثور «أنتم قصدتم لى شراً، أما اللّه فقصد به

خيراً »!! أى قصدٍ تراه في حياتك الماضية؟ قصد الناس تستطيع أن تراه وتفهمه بعينيك البشرية أما قصد اللَّه فلا تستطيع أن تراه إلا وأنت خاضع لاستنارة روح اللَّه المبارك !!

أنت هــو الرجل !!

نظر داود لأحداث قضية أوريا الحثى بنظرة إنسانية فلم يجد ما يدعو للانزعاج!! بل لعله رأى ما يبرر أفعاله أو على الأقل يلتمس له العذر فيها، فلم يستطع أن يقدم توبة حقيقية لمدة طويلة!! نظرته للأمور لم تدفعه للانكسار بل لمحاولة التستر والإنكار. إنها النظرة البشرية الأنانية النجسة والنظرة التى لا تستطيع أن ترى إلا مصلحتها وتقيس كل الأمور بمقياس الذات الرديئة!! ولو ظل طوال عمره خاضعاً لهذه النظرة ما استطاع أن ينكسر أبداً، فنظرتنا الذاتية للأمور لا يمكن أن تدفعنا للإنكسار أمام الرب!!

كان داود في حاجة لأن يرى الأحداث الماضية في حياته في نور الروح القدس وكان يحتاج أن يراها كما يراها اللَّه. كان محتاجاً أن يخضع لنور المصباح الإلهى المبارك، وهذا كل ما فعله رجل اللَّه ناثان، كان ناثان رجلاً يرى الأحداث كما يراها اللَّه، ولقد استطاع بحكمة وقيادة الروح أن يقود داود ليرى الأمور بعينى اللَّه فحكى له السيناريو الحقيقى للأحداث كما يراها اللَّه وليس كما يراها داود، وما أعظم الفرق!! في نور الروح استطاع داود أن يرى بشاعة فعله حتى أنه أصدر حكماً بالموت على نفسه دون أن يدرى!! إلى هذا الحد كانت النظرة البشرية قد خدَّرت ضميره حتى أنه لم يلحظ من البداية أن ناثان يتكلم عنه شخصياً!! لكن عندما سلَّط النبى نور المصباح في وجهه قائلاً «أنت هو الرجل» بدأ يبصر الحقيقة ويراها لأول مرة!! وهذه الرؤية الإلهية قادته للانكسار والاعتراف والتوبة. إن رؤيتنا لأخطائنا في نور الروح القدس هى وحدها القادرة أن تدفعنا للتوبة والانكسار أمام الرب!!

من بطــن أمــى !!

كان بولس يعتقد أن حياته سارت بشكل طبيعى مثل كل البشر وكان يظن أنه هو الذى اختار لنفسه طريقه وصنع بإرادته خطواته، حتى جاء يوم مبارك تواجه فيه مع نور الرب الساطع فسقط تحت سلطان هذا النور، وقام وقد أدرك أنه لم يكن يرى أى شىء بشكل صحيح وفهم أن عينيه مغطاة بالقشور وأنه يحتاج أن ينير الرب عينيه لكى يبصر الأشياء بشكل صحيح، وعندما سقطت القشور استطاع أن يرى كل أحداث حياته الماضية كان يحكمها قصد سماوى مبارك واكتشف لدهشته أن مشيئة إلهية كانت تقود خطواته من خلف الستار، ليس من وقت لقائه بالرب على أبواب دمشق بل من بطن أمه (غل ١:١٥)!! وهذه الرؤية المباركة دفعته لأن يكرّس كل حياته لتتميم هذا القصد الرائع والمشيئة الصالحة، الرؤية الحقيقية وحدها تصنع تكريساً حقيقياً !! وللحديث بقية.

تكلمنا كثيراً عن الصورة السابعة والأخيرة من الصور الرمزية التى ذكرها الكتاب المقدس في آخر أسفاره عن شخص الروح القدس المبارك، ألا وهى صورة العين الثاقبة والمصباح المنير، فقلنا إنه ينير لنا مواضع العثرة في طريقنا لكى يجنّبنا مخاطر السقوط، سواء كانت العثرة تأتى من أنفسنا أو من الآخرين أو من الشيطان نفسه، كما أنه ينير لنا أعماق إلهنا ومشيئته حتى نفهمها ونتممها في حياتنا، وأيضاً عرفنا أنه المنير والفاحص لأعماق كل إنسان في كل الأرض ولا يخفى عنه شيء، وأخيراً قلنا إنه ينير لنا معاملات اللّه معنا حتى نفهمها ونتجاوب معها، فالكثير من أعمال اللّه في حياتنا تبقى غير مفهومة ولا ملحوظة حتى يسلّط روح اللّه نوره عليها ويفسّرها لنا، حينئذ فقط نخرُّ على وجوهنا وتخرج منا كلمات الشكر والتسبيح، وقلنا في هذا الصدد أنه ينير لنا معاملات اللّه أولاً في الماضى، تلك الأحداث التى مرّت بنا دون أن نلاحظ فيها يد اللّه ونفهم قصده، واليوم نختتم حديثنا عن روح العين والمصباح بالقول إنه ثانياً ينير لنا معاملات اللّه في ما يلى:

(٢) في المستقبل !!

روح اللّه هو وحده الذى يعرف المستقبل ومن البدء يخبر بالآتيات (إش ٤٢:٩) لأنه وحده يفحص أعماق اللّه ويعرف فكره ومشيئته تجاه المستقبل، وهو يلجأ كثيراً لإعلان هذه الأمور المستقبلة للمؤمنين لكى يتهيأوا لها ويشاركوا في تتميمها، والمؤمنون يستقبلون هذه الإعلانات من خلال موهبة النبوة، تلك الموهبة التى يعطيها الروح لشعب الرب حتى يستطيعوا إدراك فكر اللّه من جهة حياتهم في الحاضر أو المستقبل.

في العهد القديم

كانت النبوة ركنا أساسياً في تكوين الشعب القديم، ولم يكن الشعب يستطيع الاستغناء عن الأنبياء العظام الذين كان الرب يقيمهم لينطقوا بفكره، كانت كلمات النبوة تنير للشعب واقعهم ومستقبلهم، وكثيراً ما أعلن الرب من خلال الأنبياء أحداث مستقبلة في حياة الشعب والشعوب المحيطة بهم، بل قلما تجد حدثاً في تاريخ الشعب لم يكن الرب قد أنبأ به من قبل على فم الأنبياء، وأكثر حدث تكلمت عنه النبوات كان مجيء المسيا المنتظر، حتى أننا نصاب بالذهول من كثرة ودقة التفاصيل التى ذكرها الأنبياء عن شخص المسيح الآتى!!

وفي العهد الجديد

قال رب المجد لتلاميذه عن روح الحق: «يخبركم بأمور آتية» (يو ١٦:١٣) ولقد أقام في الكنيسة «أنبياء» في المرتبة التالية بعد الرسل مباشرة (١كو ١٢:٢٨ ، أف ٤:١١) ولقد أعطى الرسول بولس مكانة خاصة لموهبة النبوة في الكنيسة بل أمر المؤمنين أن يجدُّوا للتنبؤ (١كو ١٤:١، ٣٩) مما يؤكد أن الروح يريد أن يخبر الكنيسة بأمور آتية من خلال أنبياء كما كان يفعل

مع الشعب القديم، فالروح لم يتغير ومازال اللّه كما كان دائماً يحب أن يخبر عبيده بكل شيء «إن السيد الرب لا يصنع أمراً إلا وهو يعلن سره لعبيده الأنبياء» (عا ٣:٧) بل إنه يحثهم على طلب هذا «هكذا يقول الرب... اسألونى عن الآتيات، من جهة بنىّ ومن جهة عمل يدى أوصونى» (إش ٤٥:١١).

وفي الكنيسة الأولى نرى الروح يستخدم الأنبياء بكثرة للإخبار عن أمور آتية (أع ١١:٢٧، ٢٨، ٢١:٩ ـ ١١) بل إنه أوحى بسفر نبوى كامل عن الأحداث الآتية على العالم وهو سفر الرؤيا.

الهدف من النبوة

أول هدف هو شركة المحبة !! محبة الرب لعبيده تجعله يخبرهم بما يزمع فعله حتى تكون لهم شركة معه (تك ١٨:١٧ ، يو ١٥:١٥) والهدف الثانى هو لكى يكون لشعب الرب رؤية مستقبلية تمكنه من تحديد أولوياته وأهدافه التى تتفق مع ما يريده الرب، وبالتالى يصبح شعب الرب أداة فعّالة في تتميم مشيئة اللّه في العالم.

إذاً ليس الهدف من النبوة هو إشباع فضول الإنسان لمعرفة المستقبل !! فالإنسان يشتهى دائماً أن يعرف ما تخبئه الأيام، ولذلك يلجأ للسحرة والعرافين والمنجمّين لعله يجد عندهم ما ينير ظلام أيامه، لكننا نعلم أن إلهنا وحده يعلم الآتيات لأنه هو صانعها، وهو يعلن لنا بعضها إذا رأى لذلك ضرورة وفائدة، لكنه لا يهتم أن يشبع فضولنا من جهة كل تفاصيل المستقبل ولا يريدنا أن نهتم نحن بتفاصيل قد جعلها في علمه وسلطانه (مت ٦:٢٥، أع ١:٧).

أين النبوة الآن ؟!

يبدو للأسف أننا أهملنا هذا الجانب من عمل الروح في كنائسنا المعاصرة، أطفأنا موهبة النبوة ولم نعطها الاهتمام اللائق، وخرج علينا البعض بالقول إن هذه الموهبة قد انتهت منذ عصر الرسل والبعض الآخر أوهمنا أن النبوة هى نفسها الوعظ والتعليم!! ونتيجة لهذه الأفكار الخاطئة أهملنا النبوة في كنائسنا وكنيسة بلا نبوة هى كنيسة بلا رؤية مستقبلية، وبدون رؤية يجمح الشعب (أم ٢٩:١٨) لذلك ليس غريباً أن نرى كم التنافر والتعارض في المسارات التى تسير فيها الكنائس المختلفة. هناك تخبط وعشوائية في كنائس وجمود وروتينية في كنائس أخرى، والسبب هو غياب الرؤية التى تعرف مشيئة الرب لبلادنا وكنائسنا في أيامنا القادمة. لو كانت لنا استنارة الروح من جهة المستقبل لصارت لنا وحدة الهدف حتى لو تعددت المسارات!! ولصارت الفروق بين الكنائس مادة إثراء وليس إضعافاً لها.

ليتنا إذاً نعود نهتم بهذا الجانب العملى من عمل الروح القدس في الكنيسة، دعونا نجدّ للتنبؤ، نسأل اللّه عن الآتيات، نطلب من الروح أن يرسم مساراً لأيامنا القادمة ويضع أمامنا هدفاً لحياتنا وغرضاً نسعى إليه، دعونا نوصى الرب من جهة بنيه وعمل يديه، وللحديث بقية.

الخــــاتمـــــة

حاولنا أن نتتبَّع الصور الرمزية التى اتخذها الوحى للدلالة على شخص روح الله في الكتاب المقدس ، ووجدنا أنها سبع صور جميلة تعكس كل منها جانباً من جوانب شخصيته وعمله له المجد ، حتى أنه سُمى في سفر الرؤيا «سبعة أرواح الله» إشارة لكمال وتنوع عمله الذى يعمله في العالم بشكل عام وفي حياتنا بشكل خاص ، فرأيناه روح الوداعة في صورة الحمامة التى نزلت على رب المجد في معموديته في بداية خدمته العلانية ، وروح القداسة الذى حلَّ كألسنة منقسمة من نار على التلاميذ في يوم الخمسين ، والروح مانح الحياة في صورة المياه التي تروى وتحيى وتفيض إلى حياة أبدية ، والروح غير الخاضع للفحص في صورة الريح التى تهب حيث تشاء ولا نستطيع أن نعرف من أين تأتى ولا إلى أين تذهب ، ورأيناه الروح الذى يمسح ويكرّس الخدام لعمل مشيئة الله في صورة زيت المسحة المقدس ، وعرفناه روح التعزية والتشجيع في صورة الخمر الجيدة ، وأخيراً رأيناه روح المعرفة والإعلان الذى ينير أمامنا كل شيء حتى أعماق الله وذلك في صورة العين والمصباح المنير.

وأمام هذه الحقائق التى رأيناها من كلمة الله بخصوص روح الله المبارك لا بد أن نخلص إلى الحقائق التالية :

شخصه وحده يكفي !!

إذا كان هذا الروح المبارك معنا فماذا يعوزنا بعد ؟ هل يمكن أن يحتاج المؤمن إلى شيء أو شخص آخر يقوده في مسيرة الإيمان ؟ عندما أتى الوقت كى يصعد رب المجد إلى السماء طلب من تلاميذه أن يمكثوا في أورشليم حتى ينالوا موعد الآب ألا وهو شخص الروح القدس ، وأمرهم ألا يتحركوا من أماكنهم إلا بقوة حضور روح الله. لم يترك لهم خططاً محددة للكرازة ولا أساليب معينة ينتهجونها في الوصول إلى العالم أجمع. لم يترك معهم سلاحاً ولا مالاً يواجهون به المستقبل المجهول ، ولم تكن هناك سلطة دنيوية تحميهم ولا قوة بشرية تسندهم ، تركهم في وسط عالم يبغضهم ومجتمع يرفضهم لا لشيء سوى لأنه رفض سيدهم من قبل ، تركهم ليحبوا العالم الذى يبغضهم ويقبلوا المجتمع الذى يرفضهم !! و أمام جسامة هذه المسئولية الموضوعة عليهم لم يكن هناك إلا هذا المعين الوحيد ، في مواجهة العمل الخارق المطلوب منهم. لم يكن لهم إلا شخص الروح القدس رفيقاً ، لم يترك رب المجد للكنيسة إلا شخص الروح ليكون المرشد والمُعزي والمُغذّى والشفيع والمُعلم والمُعين والمُبكّت والمُطهّر ، وشخصه وحده يكفى بلاشك !!

صـــانع القـــديسين !!

في كل العصور وعلى مدى التاريخ المقدس كان الروح القدس كافياً لحياة كل قديسى الله ، مَن جعل إبراهيم أباً للإيمان ؟ أى معونة كانت لإبراهيم وهو يترك بيته وعشيرته ويرحل في الصحراء متوجهاً نحو المجهول ، مَنْ كان عوضه عن الأهل والأرض ، أليس هو روح التعزية والتشجيع ؟ مَن جعله يرفع عينيه للسماء وأعطاه القدرة أن يرى المدينة التى لها الأساسات ،

أليس هو روح المعرفة والإعلان ؟ لم يكن لإبراهيم سند بشرى ولا مُعين إنسانى في طريق الإيمان الذى سلكه ، لم يكن له معلم يرشده ولا راعٍ يحفظه ولا صديق يؤنسه ، كان روح الله هو كل شىء بالنسبة له ، وكان وحده يكفى ليصنع من إبراهيم مثلاً رائعاً للإيمان !!

أية معونة كانت ليوسف وهو يُباع عبداً ويُساق أسيراً ويُهان سجيناً ؟ مَن كان بجانبه يشدّده ويرتقى به فوق حائط الصعوبات ، مَن أعطاه الغلبة على روح البغضة في إخوته ، أليس هو روح الوداعة والمحبة والغفران ؟ مَن أعطاه الغلبة على روح النجاسة في امرأة فوطيفار ، أليس روح النار والقداسة ؟ مَن ثبَّت بمتانة قوسه حتى انتصر أخيراً وخرج غالباً ليجلس على عرش مصر ؟! إنه روح الله وحده ، وهو وحده يكفى ليصنع من يوسف مثالاً جميلاً للوداعة والقداسة المنتصرة !!

مَن كان مُعيناً لموسى وهو يتصدى وحده لقيادة شعب متمرد قاسى الرقاب ؟ مَن أرشده في دروب مصر وشعاب البرية ؟ مَن جعله كفواً لهذه المهمة الجسيمة وهو يناهز الثمانين من العمر ؟ مَن صاغ منه مثَالاً للقائد الناجح مع الله والناس ؟ إنه وحده روح الحكمة والإرشاد .

ويعوزنا الوقت لو تكلمنا عن اليد الماهرة التى صنعت صموئيل وداود وسليمان وإيليا و إشعياء ... ، كل هؤلاء لم تكن لهم أى معونة بشرية بل كانت الظروف المحيطة بهم تكفى لتحطيم حياتهم ، لكنهم أعطوا أنفسهم بالكامل لهذا الصانع الماهر ووثقوا في كفاية شخصه ، ولقد صاغ من كل منهم جوهرة تلمع على مدى الأيام والعصور ، لقد كان ومازال روح الله هو وحده صانع القديسين !!

شركاء الروح القدس !!

لكن لماذا لا نرى اليوم قديسين تلمع حياتهم بنفس هذا المجد ؟ هل كفَّ الروح القدس عن صنع القديسين ؟ حاشا ، السبب للأسف هو أن وسائط المعونة أصبحت اليوم كثيرة وسهلة فلم تعد النفوس تتكل على شخص الروح وحده !! صار للروح القدس شركاء في قيادة حياتنا !! لم نعد نثق في كفاية شخصه لقيادة حياتنا بالكامل ، أصبح المؤمنون اليوم يستقون تعليمهم من القادة دون الرجوع لروح الله ويلجأون للناس طلباً للمعونة ولا ينتظرون معونة الله ، لم تعد الكنيسة تتكل اليوم على شخص الروح كما كانت تتكل عليه في عصرها الأول ، أصبحنا نختار الطرق البشرية السهلة للتعليم والتعزية ونتجنب طريق الإتكال على روح الله وحده ، وضعنا آخرين في مكان القيادة ونسينا أن الروح لا يقبل أن يكون له شريك في قيادة حياتنا ، وكانت النتيجة هي هذا الفقر والجوع والتخبط الذى نعيش فيه!!

عفواً ياروح الله !!

إذا كان هناك هدف من وراء كتابة هذه السلسلة من المقالات فهو أن نعود بانكسار إلى شخص الروح ونقدم له اعتذارنا لأننا لم نعطه المكان اللائق به في حياتنا ، ونبدأ ندرك أن شخصه المبارك فيه كل الكفاية لحياتنا ، لن يعوزنا شىء إذا اتكلنا عليه بالكامل وانتظرنا عمله في حياتنا. دعونا ننزع أى آخر من مركز القيادة في حياتنا ونتوّج روح الله وحده قائداً للحياة ، إنه «سبعة أرواح الله» أى أنه وحده القادر أن يعمل إرادة الله في حياتنا بشكل كامل لا ينقصه شىء، له المجد في الكنيسة إلى الأبد ، آمين .